رواية
ترتيب
القدر
أماني سليمان

إن هذه القصة من وحي الخيال

و اختيار الأسماء تم بشكل عشوائي

لا يمد للواقع بصلة

إن حدث تشابه فسيكون محض صدفة

قِباء طفلة مدللة والدها كان يحبها كثيراً لديها أخوين جابر و ناصر كل ما تطلبه قِباء يُنفّذ فوراً كأنه أمر بينما أمها لم تكن تبدي أيّ نوع من أنواع الحنان لكنها كانت هادئة و ملتزمة في الدين تقضي معظم أوقاتها في الصلاة و عبادة الله عزّ وجل حيث أنها كانت تؤمن بمقولة إرضاء الناس غاية لا تدرك و إرضاء الله غاية لا تترك فاترك ما لا يدرك و ادرك ما لا يترك

لكن زوجها و أولادها لطالما كانوا يلومونها على عبادتها الزائدة التي لا تسمح لها بالاهتمام بمسؤولياتها تجاه بيتها و زوجها و أطفالها

كانت تعتقد أنها إن نظفت المنزل و جهزت الغداء أنهت مهامها لم تكن تولي أولادها اهتماماً و لم تتقرّب منهم لتعرف مشاكلهم و تساعدهم في حلّها فهي تشعر بنقص و قلة ثقتها بنفسها كانت تجعلها تميل للانطواء رغم أنها اجتماعية بطبعها

حاول والد قِباء مراراً و تكراراً أن يقنع زوجته أن قيامها بدور الأم الجيدة عبادة و تربية الأولاد تربية صالحة عبادة فالجنة تحت أقدام الأمهات لكنها لم تتغير تاركة تربية أطفالها لوالدهم الذي كان يغيب طويلاً عن المنزل بحكم ظروف عمله

في أحد الأعياد عندما كانت قِباء تبلغ من العمر ثمان أعوامٍ لم تكن قد اشترت حقيبة للعيد كان وضع أسرتها المادي متوسط و أقرب للفقر بدأت تبكي طوال الليل تريد الحقيبة و كان والدها مشغول و مع شروق شمس صباح العيد كانوا يقفون هو و أخوته في المقابر عند قبور أبويهم و إخوتهم المتوفون و حين عاد والدها استقبلته عند الباب لتقول له بأنها لا تملك حقيبة فأين ستضع سكاكر العيد و النقود و إذ به يخرج من خلف ظهره حقيبة جميلة أجمل مما رأت في السوق طارت من الفرحة و ذهبت لتستقبل العيد مع صديقاتها .

امتلكت قِباء شخصية قوية منذ صغرها كانت تثبت وجودها في كل مكان تتواجد فيه و تلفت الأنظار دائماً

في المدرسة متفوقة يعرفها الجميع طلاب و اساتذة و المدير

و كانت مغرورة تتفاخر بكونها مميزة لا تكلم أحداً بسهولة كان ذلك عن قصد و ليس خوفاً من الغرباء أو تردد و خجل طفولي و أيضاً امتلكت شيئاً من الوعي الذي جعلها تبدو أكبر من عمرها

حيث أنها تتكلم بمنطق و كلامها مسموع بالرغم من نعومة جسدها الذي يجعلها تبدو صغيرة مها كبرت

أما صوتها فكان مميزاً جداً فيه نبرة تجعل من يسمع صوتها مرة لا ينساه و كأنه هوية يعرِّف عنها عندما أحدهم تخونه ذاكرته

بالنسبة لجمالها لم تكن فائقة الجمال كانت جميلة و حسب

لكن ملامحها جذابة جداً و خاصةً ذاك البريق في عيناها ذات اللون البني يأسر الناظر لها و رموشها كثيفة و طويلة تزيد عيناها جمالاً

شفتاها مكتنزتان وجنتاها بارزتان وكانت تحظى بقبول الجميع رغم غرورها

لكنها لم تسلم يوماً من نظرات الغيرة و الحسد و خاصة من الفتيات دائماً هناك من تتكلم عنها بسوء

في أحد الأيام جاءت معلمة غريبة و كلّمت التلاميذ عن نشاطات لم تفهم قِباء أيّاً من كلامها لكنها رفعت يدها و قالت أشارك كعاتها جريئة و تحب خوض التجارب لا تهاب الفشل لأنها لم تعرفه قط و بعد انتهاء اليوم الدراسيّ ذهبوا مجموعة من التلاميذ مع تلك المعلمة لمدرسة جميلة مليئة بالرسوم الملونة و كل غرفة فيها تحوي نشاط مختلف عن الآخر لفتت إحدى الغرف انتباه قِباء و سارت نحوها لتُمتّع ناظريها بالعبارات المكتوبة بأشكال مختلفة و في تلك اللحظة دخل معلم وسيم و جلس التلاميذ فجلست معهم ألقى المعلم التحية و بدأ يتكلم عن جمال الخط العربي و أدواته و هي تنظر بشيء من الذهول أحبت هذه النشاطات لكنها لم تشعر بالانتماء

للمكان فقاطعت المعلم قائلةً بصوت عالٍ بعض الشيء يدل على ثقتها بنفسها ما هذا ؟

- المعلم : هذا هو الخط العربي ما اسمكِ يا جميلة ؟
- اسمي قِباء و أعلم أنه الخط العربي و هذا خط الرقعة كما ذكرت و هذا الكوفي و هذا النسخ و هي تشير بيدها لكل نوع
- المعلم : جميل جداً أنت فتاة ذكية لكني لم أعرف ماذا تريدين الآن ؟
- قِباء : بشيء من التفكير و كأن السؤال باغتها لكنها أجابت بصراحة و بدلع طفولي زمت شفتاها و فتحت يداها و قالت لا أعرف لكني لا أريد أن أكون هنا
- المعلم : و هو يجاهد كي يخفي ابتسامته منذ بداية حديثها إذاً أين تريدين أن تكوني ؟

- قِباء : تتكلم و هي واثقة من نفسها و تستخدم يدها في التعبير أريد أن أكون في مكان آخر أشعر أنني أحبه و يحبني
- المعلم ضحك بصوت عالي و قال لإحدى الطالبات التي كانت تجلس في المقاعد الأمامية اذهبي للأستاذ نسيم و خذي معكِ قِباء و أخبريه أنني أنا من أرسلتها له

ذهبت قِباء مع الفتاة التي كانت تنظر لها نظرات غريبة و صعدا للدور الثاني و ما تزال قِباء منبهرة و مسرورة بما تراه وقفت للحظة عند غرفة فيها معلمة تعلم تلاميذها شيئاً من الحساب لم تعجبها الفكرة و أكملت طريقها إلى أن وصلا الفتاتان عند باب مغلق طرقت الفتاة الباب فتح الباب أحد التلاميذ و كانت فتاة تقف في منتصف الغرفة و هي غاضبة لم تفهم قِباء ماذا يجري !

جاء الأستاذ نسيم فقالت له الفتاة إن معلم الخط العربي أرسل هذه الفتاة و هي تشير بيدها نحو قِباء التي كانت تنظر لمعلمها

الجديد نظرات غريبة و كأنها تتفحصه من الأسفل إلى الأعلى ابتسم المعلم و فهم مقصد زميله من إرسال قِباء له فهي فتاة لها حضور مميز و جريئة تعبر عن مشاعرها دون خجل سواء بالكلام أو النظرات

أذن لها بالدخول و عادت الفتاة لمعلمها

أردا استاذ نسيم أن يفتح حديث معها ليرى تعابيرها

- فقال استاذ نسيم : ما اسمكِ يا حلوتي ؟
- أجابت قِباء : و هي تعيد شعرها الأسود و الأملس للخلف بشيء من الدلال اسمي قِباء
- المعلم : كم عمركِ ؟
- قِباء : تسعة أعوام
- المعلم :جميلة أنتِ يا قِباء و هذا ما زاد قِباء غروراً فوق غرورها ليبدو واضحاً لمن لا يعرفها

ابتسم و تابع كلامه أنا أستاذ نسيم و هنا غرفة التمثيل و هؤلاء زملاءكِ اجلسي و إن اردتِ المشاركة في أحد التدريبات لا مانع لدي

جلست قِباء تتابع ما يحدث و ما أمر تلك الفتاة الغاضبة التي كلما قال لها المعلم أكثر ازدادت غضباً و عندما انتهت قال لها المعلم اجلسي و صفق لها التلاميذ ثم قال المعلم من يخرج للتمرين التالي رفع أحد التلاميذ يده و هي لا تعلم ما هو التمرين التالي ثم عرفت أن الذي يخرج لا يعرف ما الذي سَيُطلَب منه كي يتفاجأ و لا يجب أن يُحرج أمام التلاميذ بل يجب أن يكون جريئاً و يمثل المطلوب خرج تلميذ يُدعى ماهر و وقف في منتصف الغرفة أعطاه استاذ نسيم دمية على شكل رأس حمار و طلب منه أن يقلّد الحمار و فعلاً دون تردد أدى دوره و صفق له التلاميذ و عاد لمكانه فقد كانت الغرفة تحتوي على الكثير من أدوات المسرح قال المعلم من التالي

رفعت قِباء يدها و خرجت بكل ثقة أبدى المعلم اعجابه بجرأتها فطلب منها أن تكون حزينة و تقنعه بحزنها

أدت دورها بنجاح حتى أنها أبهرت المعلم و من بعدها واضبت على دروس الأستاذ نسيم و جاء المعلم في أحد الأيام و لم يرى غير قِباء في الغرفة تنتظره سألها

- أين باقي زملاؤكِ ؟
- قِباء : لم يحضروا اليوم و فكرت أن أعود للمنزل لأنك لن تعطي درساً لتلميذة واحدة
- استاذ نسيم : و لما لم تذهبي ؟
- قِباء : لم أشأ أن تُحبَط من منظر الغرفة فارغة و أيضاً يجب أن أبقى احتراماً لقدومك ثم تقرر هل أذهب أم أبقى

أعجبه احترامها و تفكيرها الواعي و قال لها

- لا لن تذهبي ثم فتح بعض الأوراق التي كانت بحوزته و قال هذا النص المسرحي لكِ أنتِ تدرّبي جيداً

كانت المسرحيّة بسيطة تُظهر فتاة فلسطينية حزينة تتكلم عن أهلها الذين استشهدوا أثناء الحرب و كم هي تفتقدهم و تنهي المسرحية بوضع الزهور على قبورهم

و بالفعل بدأت قِباء التمرين كل يوم و تدرّبت بشكل جيد إلى أن فاجأها استاذ نسيم أن هناك مسابقة و يجب أن تكون مستعدة فقالت له نحن لها و هي تضحك

و بالفعل حازت على المركز الأول في منطقتها و تأهلت لمسابقة أكبر على مستوى المحافظة و أيضاً حازت على المركز الأول لكن في هذه المرة كانت المنافسة قوية إلّا أن قِباء أظهرت موهبتها و تخطت كل العقبات و تأهلت للمسابقة النهائية على مستوى القطر لكن في هذه المرة لم تتسرع و تكن كالمعتاد أول المتسابقين على العكس تأنت و بقيت آخر المتسابقين و كان الأستاذ نسيم قلق من تصرفها هذا و اعتقد أنها خائفة لكنها في الحقيقة كانت تراقب أداء الممثلين الصغار كي تكتسب منهم خبرة و تعرف من هم منافسيها و جاء

دورها و بالفعل أبهرت لجنة التحكيم كانت واثقة من نفسها و أدت دورها ببراعة حتى أن أحد الحكام في اللجنة سالت دمعته بسبب أدائها المقنع و بدون تفكير اختارتها لجنة التحكيم لتكون رائدة على مستوى القطر فرحت قِباء جداً و كادت تطير من الفرح ثم تكرّمت و أخذت أوسمة و شهادات بعدها ذهبت لمعسكر ترفيهي في محافظة أخرى و سمعت هناك بأن هذا المعسكر أقيم لتحديد بعض الأسماء التي ستنال بعثة ترفيهية لخارج القطر لكن هذه الأسماء ستكون مخصصة لأبناء المسؤولين لكن قِباء لم تهتم فهي تثق بذكائها الذي لم يخذلها يوماً و تعرف أن شقاوتها تستطيع أن تجعلها مميزة و بدأت التفكير و التخطيط حيث أنها أثبتت وجودها كالعادة

نصّبت نفسها مدربة لمجموعة فتيات تعرفت عليهم منذ بضع ساعات و أخذت تدربهم على بعض الحركات من اختراعها و اختارت أغنية مناسبة للحركات و كوّنت فرقة في يومين

أصبحت جاهزة و قدمت عرضاً جميلاً أمام وزير الثقافة حين زار المعسكر و لم تكتفي بذلك ليلمع نجمها أكثر

بعد الفطور نظرت لجميع الطاولات بعد أن أنهى الأطفال طعامهم و رأت كم هي متسخة فذهبت لصديقتها لتساعدها في خطتها و هي القيام بتنظيف طاولة محافظتها لتكون مميزة و بالفعل تكرّمت في المعسكر أمام الجميع

سمعت أن هناك من يدخل الغرف في الصباح و يثنون على الغرفة النظيفة أمام الجميع في الاجتماع الصباحي فقالت لصديقاتها بعد أن نظفن الغرفة كل فتاة تخرج شيئاً جميلاً من ثيابها و تضعه على السرير ثم أخذت قِباء قصاصات ورقية و كتبت عليها أسعار تناسب الملابس التي وضعوها الفتيات و رتبت الملابس على الأسرّة بشكل ملفت للنظر و كأنك حين تدخل تشعر أنك دخلت لسوق الملابس و بالفعل نجحت خطتها و تكرّمت في صباح اليوم التالي أمام الجميع

ثم عاودت الكرة لكن هذه المرة جمعت الآلات الموسيقية التي كانت بحوزة صديقاتها و وضعت لهن أسعار مختلفة و أيضاً نجحت الخطة و تكرّمت و بدأ الجميع يتكلم عن ذكاء هذه الطفلة و نظافتها إلى أن عادت للمنزل

بعد خمسة عشر يوماً من عودة قِباء للمنزل جاءت والدتها وأيقظتها من النوم بفرح على غير العادة ثم أخبرتها بأنهم اختاروها لتسافر إلى بلد عربي شقيق حيث أن قِباء استحقت البعثة

بعد اسبوع كانت مستعدة للسفر قام أحد المعلمين باصطحابها للعاصمة ثم استلمت الطفلة مشرفة الرحلة و بدأت الرحلة التي جرّبت بها قِباء أمور كثيرة أول مرّة تجربها مثل ركوب الطائرة و التصوير بمفردها بكاميرا قديمة إلّا أنها فقدت معظم الصور بعد أن أخرجت المشرفة الفلم لتبدله و هي أمام ضوء الشمس لذا احترق الفلم الأول لكن قباء اسعفت نفسها بصور جديدة استمتع الجميع في هذه الرحلة التي دامت خمسة

عشر يوماً و على الرغم من أن أهل قِباء كانوا يشعرون بالخوف قليلاً عليها و الاشتياق كثيراً لها لكنهم أردوا أن تسافر ابنتهم لأماكن يعلموا أنهم لن يستطيعوا أن يزوروها و كانوا يثقون بذكاء ابنتهم و قوة شخصيتها و يعرفون أن خيرة المشرفين يرافقون الأطفال و هذا ما كان يبعث الطمأنينة في قلوبهم كان والدها يتابع أخبار الطقس في البلد الذي سافرت له قِباء كل ليلة و لم يهتم لملامة أعمامها فهم من القبائل المتشددة و العائلات المعروفة و المحافظة و لم يسبق لفتاة من العائلة أن شاركت بشيء أو سافرت دون والديها إلّا أن والد قِباء كان منفتح على الرغم من أنه الوحيد بين إخوته الذي لم يكمل تعليمه لكنه أكثر منهم وعي و اهتمام بأطفاله و مواهبهم

بعد فترة من الزمن قرر أستاذ نسيم السفر خارج القطر و لم يشأ أن يترك قِباء دون مدرّب فأخذها لمخرج مسرحي معروف له أسمه و مكانته لكن قِباء جعلته يصاب بالجنون من شقاوتها

انضمت للفرقة و هناك رأت ماهر الذي رأته أول مرة بدور حمار و تابعت التدريبات مع الفرقة المسرحية و قدموا أول عمل لهم بعد انضمامها كان ناجحاً و حازوا على المركز الأول و ثاني عمل أيضاً كان ناجحاً حيث أنهم كانوا يشاركون بمسابقات على مستوى القطر

قضت قِباء حياتها بين المعسكرات التدريبية و الترفيهية و كانت الشمس كريمة معها و صبغتها باللون الأسمر الغامق إضافة لجسدها النحيل و قصة شعرها القصيرة كانت فتاة أخرى لا تشبه نفسها اليوم

كانت مجتهدة جداً في دراستها لم تلهيها موهبتها و حبها للمسرح عن دروسها حيث أنها كانت من المتفوقين

عندما أصبح عمرها خمسة عشر عاماً قرر والدها الذي كان يدعمها بكل شيء أن توقف نشاطها في هذه الفترة و تأخذ

الشهادة و وعدها أن تكمل و تنمّي موهبتها بعد أخذ الشهادة لأن دراستها أهم

بالفعل كانت من المتفوقين و حازت على معدل جيد جداً في الشهادة الأساسية و بعد سنة بدأت تحضر للشهادة الثانوية و أيضاً حصلت على مجموع جيد سمح لها بالدخول لكليات علمية كثيرة لكنها اختارت كلية كانت تحبها و اختصت بها

و هكذا دام انقطاعها عن المسرح لأكثر من ستة أعوامٍ رغم أنها بحثت عن فرقة مسرح في المدينة التي بدأت دراستها بها لكنها لم تجد سوى فرقة واحدة رحبوا بها إلّا أنها لم تشعر بالارتياح بينهم قط جاملتهم بعشر دقائق ثم اختفت

و بعد عامين أخبرها صديقها أنه سيُعرّفها على فرقة مسرح كونها مهتمة بالتمثيل اعتقدت أن الفرقة ذاتها التي لم ترتاح لها فأخبرها أنها فرقة أخرى و هم مجموعة من طلاب الجامعة مثلها شعرت بفرح و سرور كبيرين و بالفعل عندما

قابلت الفرقة ذُهِلت من مواهبهم الرائعة رغم أنها الفتاة الوحيدة بين مجموعة من الشبان لكنها لم تخف و كانت تأخذ معها إحدى صديقاتها كلما ذهبت لتتدرب

و بالفعل كان يوم العرض من أروع الأيام حيث أنه كان ناجحاً جداً و لم يكن هناك مقاعد فارغة من كثرة الحضور حتى أن بعض الجمهور كان يقف في الممرات الفاصلة بين المقاعد

و من أجمل لحظات العمر بالنسبة لقِباء هي لحظة إنهاء العرض و خروج أحد أعضاء الفرقة للمسرح ليُعرّف الجمهور على أعضاء الفرقة ثم في آخر الاسماء يذكر أسم المخرج ليخرج و يقف في المنتصف بين الأعضاء و الجمهور يصفق بينما جميع أعضاء الفرقة يمسكون أيدي بعضهم و يرفعونها ثم بعد قليل تنحني الفرقة جميعها احتراماً للجمهور الذي لا يزال يصفق بحرارة

كانت مسرحيات الفرقة كوميدية تنتقد الواقع بسخرية

و بدأوا بعرض ثاني و ثالث و هكذا كانت قِباء في قمة السعادة تجد ذاتها في المسرح

فهي تحب أيضاً التدريبات لِما يوجد بها من مرح و عزف و غناء كانت تستمتع في كل لحظة مع زملائها حيث أن هذه الفرقة كانت من نجاح لأخر

جلسا صادق و مهيب في مكتب صادق الذي بدأ في الكلام

- صادق : ما هذا التخريف يا استاذ مُهيب كيف تجرؤ ؟ أتحاول النصب ؟ ألا تعرف من أكون ؟ أنا صادق الجليل أهم رجل أعمال في هذه المدينة و لن تنجو بفعلتك هذه
- مُهيب : أنا أعتذر منك استاذي لكن صدقني لقد خسرت كل شيء في هذه الصفقة و لم أعد ملك شيئاً
- صادق : أنت كاذب و مخادع و قد حاول الكثيرين لفت انتباهي لمحاولة النصب هذه فسمعتك السيئة قد سبقتك لكني وثقت بكَ و ساعدتك أريد النقود حالاً
- مُهيب : لا أملك شيء لأعطيه لك
- صادق : بلى تملك
- مُهيب : ماذا ؟!

- صادق : بيتك إنه يعادل ثلاث ارباع المبلغ تنازل عن البيت و يبقى ربع المبلغ لن اسامحك به ستسدده على اقساط

وافق مُهيب على مضض و سرعان ما أتم المحامي اجراءات التنازل عن البيت و هو يقول لصادق ما الذي تريده من بيته إنه ملحق فوق سطح مبنى

- صادق : لا اريد البيت و لا يفيد بشيء لكني لا أحب أن يستغفلني أحداً أفهمت ؟
- المحامي : نعم غداً نذهب لنرى البيت
- صادق : لا أريد رؤية شيء بسبب ضغط العمل توترت أعصابي و ماذا فعلت بخصوص الشيك ؟
- المحامي : أجاب و هو مرتبك و يتلعثم سأصرفه غداً و أحول المبلغ لحسابك
- صادق : ما بك لما كل هذا الارتباك ؟!
- المحامي : شحب وجهه و قال لا شيء

- صادق : صرخ بوجهه أنت تكذب ما الذي تحفيه عني فأنا أعرفك منذ زمن هيا تكلم
- المحامي : أشاح بنظره نحو الأسفل و قال و هو خائف لم أجد الشيك بحثت عنه في كل مكان لكني لم أجده
- صادق : أخذ رأسه بين يديه و جلس ثم ثار و بدأ يضرب رأسه في الجدار و يكسر الأكواب الموضوعة على المنضدة و هو يصرخ كيف لم تجده أتعلم كم المبلغ هذا المبلغ قد يؤدي لإفلاس شركتي ما كل هذا الاهمال ؟ لا لا إنه ليس اهمال إنها مؤامرة أمسك صادق بسترة المحامي و هو يصرخ بجنون كم دفعوا لك أجبني ؟ سأسجنك
- المحامي : اهدأ يا سيد صادق
- صادق : قلي كم دفعوا لك
- المحامي : إنه خطأي أعترف لكني سأبحث عنه مجدداً أعدك أني سأجده

- صادق : اذهب و لا تعد إلا و معك المبلغ كامل لأنك لن تجد الشيك أعرف و لن تستطيع تأمين المبلغ حتى لو استدنت من معارفك

اذهب ألم تسمع أغرب عن وجهي

يا الهي ما هذا الذي يحدث يا رب أنت أرحم الراحمين أنت تعلم كم تعبت و شقيت لأصِل لما أنا عليه اليوم

بدا صادق كالمجنون يحدث نفسه يسأل و يجيب

اعوام طويلة و متواصلة من العمل ليضيع كل شيء بغمضة عين بسبب اهمال المحامي

لا قد يكون بسبب اهمالي أنا

كان يجب أن أُبقي الشيك معي و أصرف المبلغ بنفسي و أحوّل الرصيد لحسابي

لكن هو محامي الشركة و كل شيء بيده هذه وظيفته

يا ربي أيعقل أنك تحاسبني على خطأ ارتكبته دون أن أقصد إن كان الأمر كذلك اغفر لي يا الله و انا راضٍ بحكمك

و إن كان امتحان لصبري و إيماني الحمد لله الذي لا يُحمد على مكروه سواه

ذهب صادق لبيته و هو مهموم اسودّت الدنيا في وجهه بعد أن ضاع شقى عمره في غمضة عين و قال اللهم أني استجيرك من ساعة الغفلة

حاول النوم لكن دون جدوى حيث أن النعاس هرب من عيناه ليلتها إلى ان أشرقت شمس يوم جديد أجبر نفسه على النهوض ليصلّي الفجر ثم دخل المطبخ و خرج منه دون أن يأكل فالشهية هربت أيضاً عاد إلى فراشه حزين لم يغادره إلى أن سمع اذان المغرب يعلو في المسجد المجاور لمنزله نهض و أدّى فريضته و بدأ يدعو ربه أن يساعده في محنته هذه

ثم تذكر شيئاً لم ينسه لكن مصيبته هذه أنسته كل شيء تقريباً حتى أنه يكاد أن ينسى اسمه

تذكر سبب وجوده في هذه المدينة منذ زمن لكنه لم يستطع أن يعثر على ضالته و كأنه يبحث عن ابرة في كومة قش

بدأ يعلو صوت رنين هاتفه معلناً أن أحدهم يريد أن يكلمه عبر المسنجر لكنه لم يجيب فهو بحالة نفسية صعبة و لا يريد أن يسمع صوت أحد لكن سرعان ما تلى الاتصال رسالة قرأها ثم رن هاتفه مجدداً فأجاب هذه المرة

بينما كانت قِباء تمشي في الشوارع المظلمة على غير وجهة فهي لم تستوعب بعد ما جرى و لا تعلم إلى أين ستذهب

تعبت و جلست على الرصيف تنظر بحسرة لعائلة مؤلفة من أب و أم يمسكان بيد ابنتهم و هي ليس لديها من يمسك بيدها و يحنّ عليها

و تشاهد آخرون يدخلون لمنزلهم و هي ليس لديها منزل يأويها اخفضت رأسها و نظرت للأرض أمامها و في داخلها بركان من القهر تلتهم حممه قلبها الصغير الذي لا يحتمل كل هذه القسوة فالحياة قست عليها كثيراً

بينما كانت نظراتها شاردة رأت قصاصة ورقية حملتها بيأس و فتحتها لتتفاجأ بأنها شيك من فلان إلى فلان و هي لا تعرف أيّاً منهما و يبدو أن هذا الشيك جديد فكرت ماذا عساها أن تفعل به بعد تفكير عميق و توقع سيناريوهات ربما حدث أحدها

قالت لنفسها هذه أمانة و يجب أن أعيدها لصاحبها لكن لمن سأعيدها للذي منحها للشخص الآخر ؟

لا لا لا قد يكون هذا ليس صواباً قد يخفي الأمر و يضيع حق الشخص الذي كُتِبَ له الشيك

عاودت النظر للورقة لترى كم المبلغ للوهلة الأولى لم تستطع قراءة الرقم فالمبلغ كان كبير للغاية

قررت قِباء أخيراً أن تعطي الشيك لصاحبة الذي يستحقه و خمنت أنه غالباً قد اضاع الشيك و يبحث عنه لكنها سألت نفسها كيف سأعيده ؟

أنا لا أعرفه و لم أسمع عنه من قبل

قررت أن تبحث عنه عبر شبكة الأنترنت فتحت تطبيق الفيس بوك و كتبت الاسم صادق الجليل لتبحث عنه و إذ بحسابات كثيرة لهذا الاسم و من مختلف أنحاء العالم

ترى ماذا أفعل ؟

فأنا لا أعرف شكله لأرى صور الحسابات

لكنها قررت أن تبحث في الحسابات التي تحمل هذا الاسم و تقيم في نفس مدينتها و بالفعل وجدته ثم هاتفته عبر المسنجر لكنه لم يرد على مكالمتها رغم أنه كان متصلاً بالإنترنيت فكتبت له رسالة بأنها تريد التكلم معه لأمر يخصه و عندما تأكدت أنه رأى الرسالة عاودت الاتصال ثانيةً فأجاب

- معك صادق الجليل ماذا تريدين ؟
- معك قِباء مهران لديّ شيء يخصك و أعتقد أنك فقدته حديثاً و يهمك أمره و لكن أريد التأكد من هويتك لأعرف لمن أسلم هذه الأمانة قد تكون مخادع و هذا اسم مستعار على الفيس بوك
- صادق : ما هذا التهريج ؟
- قِباء : أعتذر و أعرف أن الأمر بالنسبة لك تهريج لكن بالنسبة لي الأمر في غاية الأهمية لأني أحمل أمانة و من غير الصواب أن أسلّمها دون التأكد من هوية

صاحبها إن كنت أنت صادق الجليل فهذه الأمانة فقدتها حتماً و تبحث عنها

- صادق : أأنتِ بكامل قواكِ العقلية يا فتاة ؟

أتريدين صورة عن هويتي و أنا لا أعرفك و لا أعرف ما الذي عندكِ أهي أمانة أم شيء مفقود ؟

- قِباء : هو شيء قد فقدته و أنا رأيت أنها أمانة و يجب أن أعيدها بعدما عثرتُ عليها لكن على ما يبدو أنك لم تستفقدها بعد لأنك لو اكتشفت فقدك إياها لجُننت

لا تخف قصدي خير انشاء الله لا أريد سوى التأكد من أنك أنت صاحب الأمانة

أنهى صادق المكالمة دون أت يعرها اهتماماً اعتقدَ أن شخصاً ما يريد أن يسبب له الازعاج فقط

بينما قِباء فهمت أنه لم يستفقد الشيك بعد ليعرف أنه فقده أو ربما لم يخطر بباله أن الامانة هي الشيك لكنها متأكدة أنه سيعاود الاتصال بها

أخذ يفكر صادق من هذه الفتاة و ماذا تريد ؟

و ما هذه الطلبات الغريبة ؟

ما هذه الأمانة ؟

و من الذي أرسلها ؟

بدأت الأسئلة تتزاحم في عقله

ثم حدّث نفسه و قال لن أخسر أكثر مما خسرت لأذهب و أرى ماذا تريد لكنها تريد أن تتأكد من هويتي

نعم إن كان لديها أمانة كما تتدعي فمن حقها

لكن من ذا الذي يرسل أمانة مع فتاة و لا يعطيها رقمي و تحاول أن تبحث عني عبر التطبيقات هناك شيء غير مفهوم لكن احساسي يدفعني للذهاب و كما قلت لن أخسر أكثر مما خسرت إنها الدنيا غريبة تلف و تدور و لا نفهم منها شيئاً

ارسل لها صورة هويته و تأكدت قِباء من اسمه فاتصلت به و قالت له إذاً أنت صادق الجليل تعال و خذ أمانتك

- صادق : أين أنتِ ؟
- قِباء : لا أعرف أين أنا أنتظر لأرى اسم الشارع أو اسم مطعم
- صادق : ما هذا ألا تعرفين أين أنتِ ؟
- قِباء : حقيقةً لا مشيت كثيراً و لم أعد أعرف إلى أين وصلتُ لحظة لأقترب و أرى اسم ذلك المحل إنه مطعم على اسم المدينة أتعرفه ؟
- صادق : نعم أعرفه لكن كيف سأعرفكِ ؟
- قِباء : أنا فتاة محجبة أرتدي معطفاً اسود اللون قد أكون جالسة على الرصيف إن تأخرت فأنا متعبة جداً

انتهت المكالمة و لم يفهم شيء إنها فتاة غريبة أهذا فخ ؟

و لكن من ذا الذي سيفعل شيء كهذا لي ؟

ما جو الأفلام هذا يا صادق ؟

لا إنها هي التي تحاول أن تدخلني بفلم ؟

و ما الضير في هذا هيا لآخذ دور البطولة ضحك و خرج

ذهب بسيارته و بالفعل رآها جالسة على الرصيف لكنه لم يقف أكمل و دخل في الشارع المجاور ليطمئن لكنه لم يجد شيء يثير الريبة اتصل بها قبل أن يصل إليها ليرى إن كانت هي و بالفعل أجابته وقف أمامها بسيارته فتحت باب السيارة و صعدت

تفاجأ بها كما هي تفاجأت به

فهو كان في الأربعين من عمره و توقع أنها كبيرة لكنه وجد أمامه فتاة صغيرة خمن أنها في السادسة عشر من العمر

- قِباء : من هو أحمد جميل ؟
- صادق : صفن و قطب حاجبيه و لكنه سرعان ما تدارك الأمر فوراً و قال لماذا ؟

- قِباء : هل تعرفه ؟
- صادق : نعم أعرفه جيداً
- قِباء : إذاً هذه الورقة تخصك ؟
- صادق : نظر لها و نظر للورقة لم يأخذها

و قال ما هذه ؟

قال في سره لا بد أن أحمد يلعب بي

- قِباء : هذه هي الأمانة التي كلمتك عنها
- صادق : عبس أكثر و أخذ الورقة عندما فتحها ذُهل

ما هذا ؟ أين وجدتِها ؟ و من أنتِ ؟ و لماذا تعيديها لي ؟

- قِباء : أليست لك ؟!
- صادق : نعم نعم إنها لي و لكن كنتِ تستطيعين الاستفادة منها و ابتزازي أو تحويل المبلغ لحسابكِ والتلاعب بي
- قِباء : يا سيد صادق لم يربيني والدي على أخذ شيء ليس لي و هذه الأموال لا استحقها إنها لك

- صادق : لا أصدق المبلغ كبير جداً و مغري يفسد أخلاق أي انسان
- قِباء : احترامي لنفسي يمنعني من خيانة تربيتي و مبادئي من الواضح أنك محاط بالخونة لاستغرابك أمانتي على كل حال أنا ذا قد أديت الأمانة يجب أن أذهب

فتحت باب السيارة و نزلت بدأت بالمشي لحق بها صادق بالسيارة و عرض عليها أن يوصلها لمنزلها

- قِباء : ضحكت بمرارة و اغرورقت عيناها و قالت له شكراً سأذهب بمفردي
- صادق : أنتِ أنقذتِ شركتي من الإفلاس و يجب أن أوصلكِ لمنزلكِ ألا ترين الظلام يحيط بكِ
- قِباء : لا عليك فهو ليس أكثر من الظلام الذي بداخلي أذهب سيد صادق لا أريد أن توصلني

ذهب صادق و لم يطاوعه قلبه أن يترك فتاة بهذه البراءة و خاصة أنها صغيرة العمر في الشارع لوحدها لا يدري لما انتابه احساس أنها مسؤوليته و كأنها أخته التي لم يرزقه الله بها لطالما حلم بأن يكون له اخت

عاد للشارع ذاته لكنه لم يجدها بحث عنها في الشوارع المجاورة و لم يجدها عاد مرة أخرى للشارع الذي قابلها فيه فرآها جالسة على الرصيف تحاول اغلاق معطفها بإحكام من البرد نزل من سيارته و وقف امامها نظرا لبعضهما و لم يتكلما إلى أن قال لها لما أنتِ جالسة هنا ؟

- قِباء : هذا ليس من شأنك
- صادق : شعر أنها أصبحت عدائية و لكنه قرر استيعابها و أنه إن عرض عليها أن يوصلها لن تقبل فقال ألن تذهبي معي للمحامي لتشهدي أنكِ رأيتِ الشيك كي لا ينظر لي أحد نظرة غير جيدة ؟

اقتنعت قِباء و لكنها متوجسة صعدت السيارة دون أن تكلمه و أدارت وجهها باتجاه النافذة و كأنها تخفي عيناها كي لا تُكشف سرها الذي يريد صادق أن يعرفه

أمسك صادق جواله و أتصل بالمحامي و أخبره أن يسبقه على المكتب و لا يتأخر

تنفست الصعداء عندما سمعت صوت المحامي الذي وصل لمسامعها و شعر صادق بارتياحها النسبي تبسم ابتسامة خفيفة و أدار محرك السيارة و انطلق للمكتب

عندما ما وصلا لم يكن المحامي قد وصل بعد فطلب لها صادق كوباً من الشاي كي يشعرها بالدفء بعد ذاك البرد الذي استوطن عظامها و جعل شفتاها زرقاء اللون فأكملت عن صادق و قالت شاي خفيف بدون سكر تفاجأ صادق من نبرة صوتها الواثقة من نفسها و كأنها سيدة أعمال ثم ساد الصمت بينهما إلى أن جاء المحامي الذي لا يجرؤ أن ينظر

في عيون السيد صادق من جراء فعلته لكنه استغرب وجود فتاة صغيرة العمر وجهها خالي من مساحيق التجميل محجبة ثيابها تدل على أنها تنتمي لعائلة من طبقة متوسطة و لا تنتمي لطبقة السيد صادق الرفيعة أيقظه من تأمله السيد صادق حين قال له

- صادق : لما أنت مذهول ؟

لم يجرؤ المحامي على السؤال عن الفتاة جلس و تابع صمته ثم قال صادق موجهاً كلامه للفتاة

- صادق : إنه المحامي الذي كلمتكِ عنه
- قِباء : أهلاً و سهلاً تكلمت بنبرة واثقة أجبرت المحامي على النظر في عيناها مباشرة
- صادق : إن هذه الفتاة اسمها قِباء عثرت بالصدفة على الورقة التي اضعتها
- المحامي : ماذا ؟! لم يستوعب ما هي الورقة

- صادق : الشيك
- المحامي : أين وجدته ؟
- صادق : عند مطعم في الشارع الخلفي للمكتب
- المحامي : نعم لقد ذهبتُ أمس لهناك و لكن كيف عرفتِ أنه السيد صادق و كيف تمكنتِ من الوصول لهنا هل تعرفيه من قبل ؟
- صادق : لا إنها لا تعرفني بحثت عن اسمي عن طريق الفيس بوك و كلمتني ذهبت لمقابلتها و اعطتني الشيك
- المحامي : جيد إذاً نحن لم نخسر شيء و تأكدتَ أنني أمين و لم أخنك إنها غلطة لن تتكرر أعدك

ثم نظر لقِباء و تابع حديثه ماذا تريد هذه الفتاة هل هي بانتظار مكافأتها ؟

عبس كل من السيد صادق و قِباء و بان الغضب على ملامحهما

- قِباء : إن المكافآت ينتظرها أمثالك تنافقون ليتحسن عليكم رب العمل بمبلغ تسمونه مكافأة و هو أقرب ما يكون للتسول

غضب المحامي من ردها لكنه لم يجرؤ أن ينطق بكلمة لأن أي كلام سيقوله سيضعه في موقف مُحرج

أما صادق ضحك من ردها الجريء و اطمئن عليها و أعجب بشجاعتها ثم وجه حديثه للمحامي

- صادق : مهما حاولنا مكافأة قِباء لن نستطع فهي انقذت الشركة من الإفلاس اذهب و احضر لي عقد امتلاك بيت مهيب
- المحامي : عبس و استغرب ماذا ؟!
- صادق : بنبرة أقرب للصراخ ألم تسمع اذهب و احضر العقد حالاً
- المحامي : نعم نعم سأحضره

غاب المحامي عدة دقائق و لم تسأل قِباء عن شيء بقيت صامتة و شربت الشاي

أما صادق حدث نفسه إي فتاة هذه أيعقل أنه يوجد في الكون فتاة غير فضولية لا أصدق

دخل المحامي و معه عدة أوراق و طلب البطاقة الشخصية لقِباء فنطرت تجاه صادق نظرة استفهام

- صادق : تبسم و قال لها ألم تطلبي صورة عن بطاقتي الشخصية و أنا لا أعرفكِ

أومأت برأسها و كأنها تقول نعم فأكمل صادق حديثه إذاً لا تخافي ثقي بي و أعطي بطاقتك الشخصية للمحامي

سمعت كلام صادق و وثقت به و أعطتهم بطاقتها الشخصية

أما المحامي كان مثل الأطرش في الزفة يعرف و لا يصدق أن صادق سيتنازل عن المنزل لقِباء فجأة رن جواله معلناً عن وصول رسالة نصية

- صادق : جوالك اصدر صوت
- المحامي : لا عليك أراه فيما بعد
- صادق : بغضب مكتوم نحن لسنا في عجلة من أمرنا تفقد جوالك قد يكون أمراً مهماً

فتح المحامي الرسالة النصية التي و صلت و توسعت حدقتاه حيث أن صادق كان المرسل و كتب له

((سأتنازل عن بيت مهيب لقِباء لذا جهز عقد التنازل لتكمل باقي الأوراق القانونية غداً و لا تتكلم أمامها الآن لأنها لن تقبل))

تأكدت شكوك المحامي الآن فأكمل عمله و أعاد لقِباء بطاقتها الشخصية و أعطى للسيد صادق مفتاح المنزل الذي أخرجه من درج المكتب ثم قال للسيد صادق أتريد شيئاً آخر ؟

- صادق : لا شكراً يمكنك الذهاب الآن و لكن لا تنسى إكمال عملك غداً في المحكمة و لا تنسى صرف الشيك

أخذ صادق المفتاح و نظر لقِباء و قال لها لنذهب لكن قِباء تسمرت مكانها فنظر لها باستغراب و قال

- صادق : ما بكِ ؟
- قِباء : إلى أين سنذهب ؟
- صادق : بفرح طفولي و سعادة تعالي معي إنها مفاجأة ستسعدكِ

ذهبت معه قِباء و هي لا تعرف إلى أين سيأخذها لكنها لم تخشى شيء هذه المرة لأنها رأت تعامله مع الشخص

المستهتر الذي كان سيجعله يُفلس و تضيع شركته لذا شخص كهذا لن يكون سيء عندما وصلا أمام المبنى و أوقف السيارة

- صادق : هيا لنصعد
- قِباء : إلى أين ؟!
- صادق : لا تخافي و لا تحرقي المفاجأة كوني واثقة بي
- قِباء : هل سأتعرّف على عائلتك ؟
- صادق : بحزن و كأنها ذكرته بجرح قال لا
- قِباء : شعرت بالحرج و قالت هيا بنا لنصعد

صعدا الدرج و كل ما ينتهي يعود من جديد إلى أن تعبت و شعرت أن هذا الدرج ليس له نهاية و بعد عناء وقفا أمام باب يبدوا أنه باب سطح المبنى فتح الباب و قال لها تفضلي لكنها لم تتحرك فأمسكها من يدها و سحبها للداخل تملكها الخوف و بدأت تلوم نفسها في سرها

ما هذا يا قِباء كيف طاوعته و جئتِ معه إلى هنا ثم نظرت بخوف و حذر من حولها لتستكشف المكان فقال لها صادق لا تخافي هذا المكان أصبح من الآن بيتكِ و ملككِ لم تستوعب قِباء كلامه فأكد لها أنه تنازل عن البيت لها و هذا أقل ما يمكن فعله من أجلها

- قِباء : كيف تتنازل عن منزلك أين ستعيش ؟
- صادق : ضحك بسرور من براءة حديثها و قال هذا ليس منزلي لكني امتلكته حديثاً عوضاً عن صفقة و لا أعرف ما به في الداخل من أثاث هيا لنتفقده و نُحضر ما ينقصه جلس حينها على الأرجوحة الموجودة على السطح و الذي أعجَبت قِباء منذ لحظة دخولها

بعد أن فهمت الأمر بدأت تتجول في المكان كان منزلاً بسيطاً عبارة عن غرفتين الأولى تحتوي غرفة نوم كلاسيكية بيضاء اللون و الثانية تحتوي على عدد من الأرائك الصغيرة كل واحدة لونها مختلف عن الثانية

بعض الوسادات الصغيرة التي يغلفها قماش مطرز بورود ملونة و جدار يحمل لوحة جميلة لمناظر طبيعية لفت نظر قِباء تناسق الألوان و تمازجها الجميل في هذه اللوحة

و يوجد أيضا تلفاز و مدفأة جميلة الشكل و مكتبة صغيرة تحتوي على عدد قليل من الكتب و كان يفصل الحجرتان عن بعضهما باب جميل ثم خرجت و رأت المطبخ على يدها اليمنى لم يكن ينقصه شيء و كان الذي يميزه هو لونه الفيروزي يليه الحمام

أما عن المساحة الباقية من السطح فهي كانت جميلة جداً و ذلك لأن الأرض كانت مغطاة بالكامل بالعشب الصناعي و الورود الملونة تحيط بسور السطح كاملاً و الأرجوحة الموجودة كانت جميلة أيضاً مطلية باللون الوردي الفاتح و يوجد منضدة و كرسيين في الجانب الآخر من المكان و كأن المكان هو بيت قِباء الذي لو حلمت به لم تكن ستحسن الاختيار هكذا

كل شيء موجود كما تحب و على ذوقها

عندما نظرت تجاه صادق رأته ينظر لها و كأنه ينتظرها

- قِباء : هيا بنا
- صادق : إلى أين ؟
- قِباء : إلى المطعم أشعر بالجوع ألست جائع ؟ لا تخف سأدفع الحساب أنا و ضحكت
- صادق : نظر لها نظرة غريبة و قال نعم جائع

نزل صادق معها و قد تغيرت ملامحه شعر للحظة أنها بدأت تستغله لكنه لم يتكلم و أراد أن يفهم قصتها و سأل نفسه من هي هذه الفتاة التي وضعها القدر في طريقي ؟

و ما هذا الغموض الذي يحيط بها ؟

تبدو أنها فتاة مؤدبة لكن أين أهلها ؟

و لما فجأة ستأخذني للمطعم ؟

استدارت حينها قِباء و تبسمت بطريقة غريبة لتقطع تأمله و توقف سيل الأسئلة الذي أجتاح عقله على حين غفلة ثم قالت لا تفكر كثيراً لأن التفكير سَيُتعِبك

تلعثم صادق و ارتبك و قال لا أنا لا أفكر بشيء

تابعت ابتسامتها و فتحت باب السيارة و صعدت و عندما جلس هو أيضاً بجانبها قالت له أنا استطيع الدخول إلى رأسك و أطلّع على أفكارك و أقرأ عيناك لذا أعرف فيما تفكر

سكت صادق و لم يجب أدرار محرك السيارة و ذهبا للمطعم و حالة الذهول هذه لم تفارقه منذ أن رأى هذه الفتاة الغامضة التي في كل مرة تبهره لا يمكن فتاة في هذا العمر الصغير أن تمتلك عقلاً كعقلها

وصلا و جالسا على الطاولة و بدأت نظرات صادق تتوه فيها و تسألها و تشرد في قصتها و هي كعادتها لا تأبه جاء النادل و طلبت بيتزا و بطاطا مع كاتشب و سلطة أما صادق لم

يطلب سوى فنجاناً من القهوة بعد أن ذهب النادل لم يتمالك نفسه و سألها

- صادق : ستدفعين حساب كل هذا ؟
- قِباء : ضحكت و قالت نعم لمَ لا
- صادق : ألا تريدين أن أدفع الحساب أنا ؟
- قِباء : لقد قلت لك منذ البداية أنا التي ستدفع
- صادق : أتملكين النقود ؟
- قِباء : بالتأكيد ، ما الذي دهاك ؟ ما الذي تود قوله ؟
- صادق : رأيتني شاب ميسور الحال فوسوست لكِ نفسكِ لاستغلالي
- قِباء : ضحكت و ضحكت و ضحكت إلى أن انتبه لها كل من كان جالساً في ذاك المطعم و تلك الضحكة استفزت صادق جداً و أحرجته ثم قالت أيعقل أن يكون تفكيرك سطحي لهذه الدرجة ؟

لا يا سيد صادق أنت مخطئ نعم أنا جائعة لكنني كنت استطيع أن أنام دون طعام أو أن آخذ أي شيء من البقاليّة لكن طلبت المجيء لهنا لأنك جلست و شرعاً لا يجب أن نكن سوياً في مكان لوحدنا فأردت اصطحابك بطريقة لا تشعرك بالإهانة

أعرف أنك شخصاً مؤدباً لكن الشرع شرع أفهمت الآن؟ لا تخف لن استغلك

اخفض صادق رأسه للأسفل و أراد أن تبتلعه الأرض قبل أن يضع نفسه في موقف كهذا لأنه يعرف أنها محقة بالفعل شرعاً هذا لا يجوز

- صادق : ما قصتكِ يا فتاة ؟
- قِباء : سألتني قبل مرة و لم أجيب هذا يعني أنني لا أريد التكلم في هذا الموضوع
- صادق : يبدو أنكِ أبنة عائلة محترمة أين هم أهلك ؟

- قِباء : نعم هذا صحيح و لا أريد الحديث في هذا الموضوع دعني أفرح في المنزل الذي اصبح ملكي دون أن تعكر أسئلتك صفو فرحتي و لتعلم أن الله كريم جداً و كرمه ليس له حدود
- صادق : ربنا كريم جداً ما كنت اتوقع عودة الشيك و لا بأي طريقة من توكل على الله جعل له مخرجاً

جاء النادل بالطعام و أكلت قِباء و عندما انتهت من تناول طعامها رن هاتفها الجوال

- قِباء : أهلاً أستاذ ابراهيم لماذا تريد أن تراني ؟ الآن؟!!!!

ما هذا الموضوع المهم و المستعجل ؟

لا بأس أنا موجودة الآن في المطعم بانتظارك

مع السلامة

الحمد لله أنني انتهيت من الطعام قبل مجيئهما

- صادق : ألهذه الدرجة أنتِ بخيلة ؟

- قِباء : تضحك و تقول باستغراب بخيلة ؟!
  لا استاذ صادق لست بخيلة إنما أُفضّل أن لا اتناول الطعام أمام أحد
- صادق : نظر لها و حدث نفسه وضعت نفسي في موقف محرج مرة ثانية أمر طبيعي أن تخجل الفتاة

جاء السيد ابراهيم و معه شخص غريب

- مرحبا أنا استاذ محمد
- قِباء : تشرفت بمعرفتك و أنا قِباء عالمة أحياء و كاتبة و ممثلة أعمل في مجال الأغذية
- أستاذ محمد : أنا من منظمة تهتم بالفنون و الثقافة لدينا مشروع فني قدم لنا استاذ ابراهيم نص مسرحي لكننا طلبنا منه نص مسرحي ثاني لنختار هكذا هي القوانين فقدم لنا استاذ ابراهيم نص ثاني كان لكِ و اجمعت اللجنة المختصة على رأي واحد و هو اختيار النص المسرحي

الذي كان من تأليفكِ و أنا هنا لتوقيع العقد معكِ إن لم يكن لديكِ مانع

- قِباء : على الرحب و السعة بكل سرور

أخرج استاذ محمد العقد و قرأته قِباء بتأنٍ و وقعته ثم أخرج ظرف يحوي على ألف دولار و أعطاه لقِباء لم تخفي قِباء فرحتها و شكرت استاذ ابراهيم و قالت لأستاذ محمد لدي طلب صغير

- استاذ محمد : تفضلي
- قِباء : أريد أن ألعب دور البطلة في المسرحية لا تنسى أنني ممثلة مسرح منذ نعومة أظافري
- أستاذ محمد : يسرنا هذا و أخرج عقداً آخر لتوقعه قِباء و بالفعل وقعت و ناولها ظرف آخر يحوي خمس مئة دولار دفعة أولى

شكرته قِباء و غادر الأستاذان المطعم نظرت قِباء لصادق و ضحكت من ذهوله فقد كانت ملامحه تدل على صدمة و ذهول و عدم تصديق

- قِباء : ما بك ؟
- صادق : أنتِ عالمة أحياء ؟
- قِباء : نعم
- صادق : و تجيدين التمثيل ؟
- قِباء : نعم لما أنت مصدوم ؟
- صادق : متى فعلتِ كل هذا و عمركِ لا يتجاوز الخمسة عشر عاماً تقريباً
- قِباء : ضحكت و ضحكت ماذا ؟

خمسة عشر عاماً يا استاذ صادق قد تعطيني عمر أقل من عمري بعامين أو ثلاثة أعوام إنما النصف هذا كثير

- صادق : ماذا تقصدين بالنصف ؟

أتودين القول أنكِ في العقد الثالث ؟

- قِباء : نعم و ما الذي يصدم في ذلك ؟
- صادق : لا أصدق
- قِباء : أتريد أن أرفع لك جانباً من الحجاب لترى الشيب الذي غلف رأسي لتصدق

ثم رن هاتفها مرة أخرى و أجابت نعم أبي فليكمل المحامي الاجراءات و أنا سوف أصل بعد قليل لأعطيك باقي المبلغ و آخذ امتعتي مع السلامة

لم يفارق الذهول صادق ليعود له من جديد و لكن بشكل آخر و أسئلة أخرى و استفسارات و أفكار ثم بدأ يراقب قِباء و هي تنزع سوارها الذهب و خاتمها و قلادتها ثم وضعتهم في حقيبتها

- صادق : ماذا تفعلين ؟
- قِباء : لا شيء
- صادق : لم أتوقع للحظة أن والدكِ على قيد الحياة

و ما المبلغ الذي سيأخذه منكِ ؟

و لما ستأخذين أمتعتكِ ؟

- قِباء : قلت لك إنها أمور خاصة و لا أحب التكلم بها
- صادق : قد أستطيع مساعدتكِ
- قِباء : أنت بالفعل ساعدتني لقد وضع القدر كلٌّ منا في طريق الآخر أنا أنقذتك من الإفلاس

كنتُ سأنتظر حتى الصباح حتى أبدأ البحث عن منزل أستأجره و أشتري الأثاث لكنك اختصرت كل هذا العناء و قابلت أمانتي بمنزل مفروش و لا تسألني عن شيء آخر رجاءً

ألا نذهب ؟

- صادق : نعم أترغبين أن أوصلكِ ؟
- قِباء : هذا لطف منك خذني إلى المنزل الذي أصبح ملكي قالتها بفرح و كأنها طفلة حصلت على لعبتها المفضلة

- صادق : ألن تذهبين لوالدكِ ؟
- قِباء : ليس الآن و لا أدري متى
- صادق : حسناً

وصلت قِباء لمنزلها و هي تحمد الله و تشكره على كرمه ثم خبأت الذهب و المال الذي كان بحوزتها و أخذت ما أراده والدها فقط ثم نزلت من منزلها ذاهبةً لمنزل والدها الذي لم يكن يبعد عن منزلها سوى عشر دقائق لا أكثر

عندما دخلت رأت أولاد أعمامهما مجتمعين و أحدهم يقول لوالدها لن نعطيك شيء من الميراث ما دامت هذه الفتاة تعيش في منزلك لم تأبه لكلامه و قالت لوالدها أريد أخذ أمتعتي و هذا المال للمحامي فأمسك والدها بيدها و استفقد سوارها الذهب ثم رفع حجابها قليلاً ليتأكد من وجود القلادة فلم يجدها سألها عنهما ؟

- قِباء : لقد سُرق مني

مجموعة من الشبان اعترضوا طريقي و سرقوا ذهبي و حقيبتي لولا أن هاتفي الجوال كان في جيب معطفي لأخذوه أيضاً

- ابن عمها : و من أين حصلتِ على المال ؟
- قِباء : استدنته من أحدى صديقاتي
- ابن عمها : إلى أين ستأخذين أمتعتكِ ؟
- قِباء : لمنزل صديقتي التي ساعدتني و حبذا لو تساعدني و تنقل أمتعتي بسيارتك و تعتلها لبيتها في الطابق الرابع
- ابن عمها : قال بغضب في آخر زماني أعمل عتال صمت لبرهة ثم قال أريد أن أسألكِ سؤال حيرني لماذا بعد أن طردكِ والدكِ لازلتِ تعطيه المال ؟
- قِباء : إنه رباني و كبرني و علمني و سهر أيام و ليالي في مرضي إنه بالفعل والدي لست قليلة أصل لأنكر كل هذا الحنان

- ابن عمها : ضحك بسخرية و قال لستِ قليلة أصل هل يُعرَف لكِ أصل

أنتِ لقيطة ألم تستوعبي ذلك بعد

- قِباء : لا لستُ لقيطة و أنا متيقنة من هذا و ما زادني يقين هو وجودي بينكم لأنكم لا تفعلون شيء دون مقابل لذا أنا متأكدة أنني شخصاً مهماً لأنكم كنتم لي أهل كل هذه الأعوام لذا هناك سر سيأتي يوم و أعرفه عندها لن أرحمكم أفهمت لن أرحمكم

ذهبت و بدأت تضع أمتعتها في الحقائب و لم تنسى شيئاً يخصها و كان احساسها صائباً كالعادة فقد اتصل بها والدها من أجل الذهب لذا كانت مجبرة على الكذب و تأليف قصة السرقة لأنها متأكدة أنه لن يسمح لها أن تأخذ شيئاً من أمتعتها دون أخذ الذهب الذي كانت تشتريه من مالها بعد أن بدأت العمل و لم تبخل يوماً على اسرتها كانت تعطيهم كل ما لديها من مال بحب إلى أن اقترحت عليها إحدى صديقاتها أن تدّخر

شيئاً من راتبها و تشتري ذهباً سينفعها ذلك في أحد الأيام و بالفعل عملت بنصيحتها و جاء اليوم الذي لم تكن تتخيل أنه سيأتي و بقيت وحيدة لكنها ليست خائفة ربها كان معها و هذا يكفي فالله رحيم بعباده

لذا أعطت المال لوالدها كي تستطيع أخذ امتعتها و هي كانت ستعطيه المال بجميع الأحوال لكنها ارادت أن تستغل الفرصة لا أكثر

أخذت أمتعتها و خرجت تبحث عن سيارة أجرة لكن فجأة وقف أمامها صادق عرفت أنه لم يذهب بل كان يراقبها لم تحب تصرفه لكنها قالت له هل ستساعدني ؟

- صادق : ابتسم لها و قال نعم

أخذ الحقائب الثقيلة و وضعها في السيارة و وضعها عند عتبة باب المنزل ونزل فوراً ثم التفت و قال أتريدين شيء

ابتسمت قباء و قالت لا شكراً ثم أغلقت الباب خلفه و قالت في نفسها جيد أنه فهم أننا لا يجب أن يبقى في المنزل و يبدو أنه مثلي لا يريد أن يُغضِب ربه

جيد أنه مؤمن و لم يفتعل مشكلة كي يبقى أمثاله قليلون في أيامنا هذه فالشبان يستغلون كل الفرص و يصطنعون فرص كي يختلوا في بنات الناس و قد تكون هذه الفتاة إحدى قريباته لكنه لا يأبه

الدين و الأخلاق و المبادئ أصبحوا عملة نادرة و للأسف يصعب البحث عنها فالغالبية أتخذوها مجرد قناع و رياء يتباهون بها لكنهم في الحقيقة لا يفقهون شيئاً في الدين و الأخلاق أما المبادئ أصبحت عبارة عن هتافات يحفظونها و لا يفهمونها

تذكرت المثل الذي يقول

(من برا هالله هالله و من جوا يعلم الله) أو

(من برا خام و من جوا سخام)

ما زاد مكانة صادق في قلب قِباء أنه ليس من هؤلاء المنافقين

بقيت قِباء لوحدها تصارع مشاعرها المتخبطة لا تدري إن كانت حزينة لأنها بقيت وحيدة دون عائلة دون سند دون حنان أم أنها يجب أن تفرح لأنها شعرت أن ربها راضٍ عنها و كان رحيم بها لم يتركها محتارة مكتوفة الأيدي بل كان الله معها و ساعدها ثم فكرت كيف ستنام لوحدها في المنزل ليست خائفة إنما قلقة ثم نفضت الافكار من رأسها و وتجاهلت مشاعرها و نظرت حولها و استمتعت بجمال المنزل و بدأت بتوضيب أغراضها في اماكنها و اخرجت الذهب و ارتدته

ذهب صادق بعد أن أوصل قِباء للمكان الذي كانت تقف فيه علّه يعرف شيئاً عنها لكنه عندما رأى أولاد عمها الذي يكرههم عاد لمنزله و هو لا يعرف أنهم أولاد عمها لكنه

دائماً على خلاف معهم لا يعرف كيف و متى بدأت هذه الحرب لكنه يعرف أنها لن تنتهي

جلس على الأريكة و عاد للتفكير في هذه الفتاة الرائعة التي وضعها القدر في طريقه حدّث نفسه معرفتها شرف فهي عالمة و اديبة و ممثلة و تعمل في مجال الأغذية شخصيتها قوية و مؤدبة واثقة من نفسها مؤمنة لا تخالف ضميرها و تعاليم دينها و رقيقة و للجمال حكاية أخرى معها فهي جميلة بشكل غريب تسلب القلب و العقل معاً

لكن ما الذي خطر لي كي أتنازل لها عن المنزل سبحان الله هذا رضا من الله عليها لم يشأ ربنا أن يتركها في حيرةٍ من أمرها فسهّل لها كل شيء و كان هذا لقاء أمانتها كانت تستطيع مساومتي و استغلالي أو حتى شراكتي لكنها لم تفعل فهي تخاف الله إنها فعلاً رائعة بقي طوال الليل يفكر بها و يحلل كلامها و تصرفاتها حتى أنه لم يعرف كيف ومتى غفت عيناه

أشرقت شمس يوم جديد كانت فيه قِباء مفعمة بالأمل و النشاط و الحيوية شعرت و كأنها وُلِدت من جديد يجتاحها سلام داخلي جميل و جعلت صباحها أجمل بصوت فيروز

و بدأت تُعد قهوة الصباح التي كان لها طعم مختلف اليوم كل شيء حولها جميل رائحة القهوة ورائحة الورد وألوانه وجمال العشب الاخضر و أرجوحتها التي طالما حلمت بامتلاك واحدة تشبهها كل شيء يبعث السعادة في نفسها

تذكرت أن اليوم هو الجمعة و حمدت ربها على ذلك لأنها ستمتلك وقتاً جيداً لترتيب و تنظيف كل شيء في المنزل و أيضاً هي مجبرة على الذهاب للسوق باختصار يلزمها كل شيء خضار و فاكهة و لحوم و معلبات و كل ما يحتاجه المطبخ من توابل فهي لا تحب أن تأكل خارج المنزل إلّا إذا كانت مجبرة على ذلك من هواياتها الطبخ و صنع الحلويات

احضرت ورقة و قلم و كتبت كل ما تحتاجه و لم تنسى الموالح و المكسرات و الفحم و القصدير و المعسل فهي من محبي النرجيلة و كل شيء كتبت بجانبه كميات كبيرة لأنها تعلم أنها ستكون الفترة المقبلة في عملها الجديد

ثم شردت بأفكارها قليلاً و حدثت نفسها أنها يجب أن تطبخ و تخبر السيد صادق أن يأتي كنوع من الشكر و لتكن صديقتي موجودة أيضاً

سألت نفسها متى يا قِباء يكون الوقت مناسباً لكِ متى ؟

الجمعة المقبلة نعم هذا وقت جيد

انتهت من تناول قهوتها و بدأت رحلة السوق التي تعلم أنها ستكون شاقّة جداً و ستأخذ منها كل نهارها

أما صادق استيقظ و هو مذهول مما رآه في منامه حيث أنه لم يرى والداه في حياته قط بعد أن توفيا في حادث سيارة مدبّر و هو يبلغ من العمر عامان فقط

و لم يراهما في منامه قط هذه هي المرة الأولى التي رأى والداه في المنام كانا يرتديان ثياب بيضاء و يبتسمان له بحب و كأنهما راضيان عنه أما هو فكان بين يداه لعبة تخص ابنة عمه المفقودة

فكر قليلاً ماذا عساه أن يكون تفسير هذا المنام الذي بعث في داخله راحة غريبة لا يعرف مصدرها نهض من فراشه و امسك هاتفه اتصل ببيت عمّه الذي رباه هو و وزوجته بعد وفاة والداه و روى له ما رأى صمت عمه قليلاً ثم قال له أنا أيضاً يا بني رأيت والدك في منامي كان يبتسم و يضمني بفرح جعلني أشعر أن هذا ليس مناماً من كثرة تأثري بقدومه و قال لي كلام لم أفهم معناه عبارات متقطعة لكنها تبعث الأمل في النفس كانت عباراته مختصرة و لها معنى مثل

(سيعود المفقود ... سيولد الفرح ...سينتهي الكابوس .....ستشرق شمس الأمل ...ستزول الغيوم .... ستُقَطب الجراح..... سيدفن الحزن)

جاءت زوجته و هي بكامل نشاطها على غير العادة و قد خرجت عن صمتها الذي دام قرابة الثلاثون عاماً وهي تلقي التحية على زوجها الذي سالت دموعه من الفرح و قال لابن اخيه لقد تكلمت زوجة عمك و أخيراً إنها جمعة مباركة حقاً يا إلهي كم أنت كريم حمداً و الف شكر لك يا الله فقال له صادق أريد أن أكلمها و أسمع صوتها أعطاها زوجها الهاتف و اطمئن صادق على والدته التي لم تنجبه لكنها تعبت في تربيته و سألها كيف حدث ذلك ؟

لا أعرف يا بني رأيت حلماً كنتُ أعتقد أنه كابوس و كأن ابنتي كانت تحمل لعبتها و تجري بسرعة نحو النهر و وقعت في الماء كادت أن تغرق و أنا أقف مكتوفة الأيدي لا أفعل شيئاً سوى الصراخ أبنتي تغرق النجدة

فجأة رأيتك تقفز في النهر و تُخرج ابنتي لكنك لم تُخرج لعبتها عندها استطعت المشي و اقتربت منكما و ضممتها لصدري فجأة استيقظت و أنا اناديها رفيف ابنتي أنتِ بخير

لحظتها استوعبت أنني أتكلم نعم أتكلم فرحت ثلاث مرات و علمت أنه ليس كابوس

الأولى لإنقاذك ابنتي و الثانية حين ضممتها لصدري و الثالثة عندما استعدت صوتي

رباه كما أعدت لي صوتي المفقود منذ زمن أعد لي ابنتي إن كانت على قيد الحياة و هنا بدأ صادق يبكي و انهى المكالمة

كان يشعر بالفرح لما جرى مع زوجة عمه و لرؤيته والداه في الحلم ثم تمنى لو كان مع عمه و زوجته الآن فهو اشتاق لرؤيتهما جداً لكنه لا يستطيع أن يسافر لمدينته بسبب ضغط العمل ثم ذهب ليعد قهوته و تذكر قِباء حمل هاتفه ليكلمها لكنه تذكر أنه لا يمتلك رقمها فتح المسنجر ولم تكن متصلة ب

الأنترنيت لذا لم يستطيع أن يسمع صوتها أو يطمئن عليها بدأ يحدث نفسه لماذا اريد الاتصال بها ؟

حدث ما حدث و انتهينا هي ساعدتني و انا ساعدتها انتهى الأمر قد يكون السبب لأنها فتاة وحيدة و مسكينة

كان يكابر و يضع المبررات كي لا يعترف لنفسه أنه أحبها و أنها شغلت تفكيره بقوة كلما أراد أن يشغل نفسه بشيء كي لا يفكر بها لا تمضي سوى لحظات و رغماً عنه تعود و تشغل عقله ثم يلوم نفسه كيف لم يطلب رقمها

سأل نفسه هل أذهب لمنزلها و أرى إن كانت بخير أو بحاجة لشيءٍ ما ؟ قد تكون بحاجة لمساعدة ؟

لا هي لا تحب ذلك

لكنه بعد أن تصارعت الأفكار في رأسه لساعات أنتصر قلبه و ذهب لمنزلها طرق الباب و ما من مجيب بدأت الوساوس تتسلل لقلبه و عقله معاً عساها بخير أين تراها قد تكون ؟

نزل و سأل صاحب البقالية أسفل المبنى هل رأى فتاة محجبة نزلت اليوم قال له نعم اطمئن نوعاً ما عنها و قال له نحن اشترينا المنزل في الطابق الأخير و هي تكون إحدى قريباتي و قد أوصاني بها والدها هذا رقمي أيمكنك أن تتصل بي عند عودتها

نظر له صاحب البقالية و قال له كيف هي إحدى قريباتك و لا تمتلك رقمها ؟

صادق : لقد سُرِقَ مني هاتفي المحمول ليلة أمس و لم أعد أمتلك رقمها و لا حتى رقم والدها

صاحب البقالة : لا مانع لدي سأساعدك

صادق : شكراً

ذهب و هو يحدث نفسه ما كميّة الكذب هذه يا صادق ؟

يجيب على نفسه من أجل عيناها يهون كل شيء

انتظر صادق و انتظر و لم يأته اتصال من صاحب البقالية أيعقل أنها جاءت و هو لم يلاحظها ؟

لا ربما نسى بل تناسى و لم يصدق أيّاً من أكاذيبك يا صادق ؟

لا لقد اصبحتُ مجنوناً رسمياً ماذا فعلتي بي يا قِباء جعلتني أكلم نفسي كالمجانين و ضحك

قاربت الشمس على المغيب و لم يستطع الانتظار أكثر من ذلك ذهب ثانيةً و قبل أن يصعد لمنزلها نظر تجاه البقالية فأشار له الرجل أنها لم تأتي بعد تغيرت ملامح صادق و شحب وجهه لا يدري لما شعر بالخوف عليها في هذه الأثناء وقفت سيارة أجرة و نزلت منها قِباء و نزل السائق يعاونها في تنزيل مشترياتها من السيارة

شعر صادق براحة نفسية و ذهب يساعدها ابتسمت بدلع و قالت له اهلاً سيد صادق

شرد صادق قليلاً في وجه قِباء المبتسم المشرق كأنها اليوم فتاة أخرى فتاة مختلفة شعر و كأنها طفلة يملأها المرح ثم قال لها أهلاً سأساعدكم ما كل هذا يا قِباء ؟

- قِباء : أتعبت ؟
- صادق : لم أقصد التعب رغم أنه لا بد منه بل أقصد كمية المقتنيات هذه و كأنكِ أحضرت السوق كله لِما ؟
- قِباء : كما تعلم سأبدأ العمل غداً و لن أمتلك الوقت الكافي في الأيام المقبلة للذهاب للسوق عدا ذلك تعلم أنني أقطن في الطابق الرابع و سيصعب عليّ الصعود يومياً و أنا أحمل ما يلزمني لذا تسوقت لأسبوع
- صادق : فكرة معقولة و هو يتنهد قال لها هل بقي شيء
- قِباء : لا انتهينا شكراً على المساعدة لكني لا استطيع أن أقول لك تفضل و أشاحت بنظرها للأسفل خجلاً منه

- صادق : لا عليكِ سأنتظركِ في السيارة إلى أن تنتهي من وضع الأشياء في أماكنها لنذهب و نشرب القهوة في إحدى المقاهي و نتحدث قليلاً
- قِباء : سيصيبك الضجر لأنني لن أنتهي قبل ثلاث ساعات أو أكثر أتعرف فلتدخل و سنترك الباب مفتوحاً
- صادق : فكرة جيدة و شكراً لأنكِ تمنحيني الثقة
- قِباء : العفو تفضل

بدأت قِباء ترتب أغراضها و هو يتابعها و يثني على ترتيبها ثم سألها

- صادق : ألن تخبريني ما قصتكِ ؟
- قِباء : أيّ قصة ؟
- صادق : قصة سكنكِ لوحدكِ رغم وجود أهلكِ في نفس المدينة و الأغرب موافقة والداكِ على ذلك؟
- قِباء : لا تفكر كثيراً في الأمر سيؤلمك رأسك من التفكير سبق و قلت لك أنني لا أحب التحدث في هذا الأمر

- صادق : أيعقل أنكِ تثقين بي و سمحتي لي بالدخول لمنزلكِ و لا تثقين بي لتخبريني قصتكِ ؟
- قِباء : التزمت الصمت و تنهدت ثم قالت له كيف تحب القهوة
- صادق : سادة .....لن أحرجك أكثر لكني أسأل ليس من باب الفضول إنما كي أساعدكِ
- قِباء : شكراً لك لا أحتاج المساعدة في الوقت الحالي.... صحيح كدتُ أنسى الجمعة المقبلة سنتناول الغداء هنا و ستكون معي صديقتي سأعد الطعام بنفسي إن لم يكن لديك مانع
- صادق : شكراً لكِ ليس لدي مانع لكن ما سبب هذه الوليمة
- قِباء : نوعاً من الشكر على كل ما قمت به من أجلي و وقوفك بجانبي في أصعب لحظات حياتي لو كنت أملك أخاً قد لا يملك بعضاً من شهامتك و حنانك

- صادق : العفو ... أنا قمت بواجبي و أنتِ أيضاً أنقذتني بعد أن فقدتُ الأمل

انتهت قِباء من الترتيب و جهزت الضيافة لصادق من موالح و فاكهة و مكسرات و مته لكنها لم تقبل أن يشاركها في النرجيلة ضحك و قال لها لا يريد..... تحدثا كثيراً و ضحكا و استمتعا بوقتها و كأنهما أعز اصحاب و لم ينتبها للوقت عندما رأت قِباء أن الساعة الثانية عشر إلّا ربع صُدِمت و انتفض صادق و قال لها ينتظره عمل كثير في الغد كيف لم ينتبه للوقت استأذن ثم تذكر أنه لا يملك رقم هاتفها فأعطته الرقم و ذهب و هي أيضاً ذهبت لتنام ستبدأ غداً عملها الذي طالما أحبته و شعرت أنها تنتمي له

ذهب صادق وهو يفكر في قِباء التي شعر أنه يعرفها منذ زمن و شعر أنه مسؤول عنها و كأنها أخته

فرح لأنها فكرت في أن تعد الطعام له لأنه مل من الطعام الجاهز في المطاعم ثم سأل نفسه هل هي طاهية جيدة أم سيؤلمني بطني من طعامها و سأضطر لمجاملتها ؟

ذهب كل منهما لعمله في اليوم التالي و في المساء هاتفها صادق و اطمئن عن أحوالها و هكذا بقيا يعملان طوال الأسبوع أراد أن يراها لكنه منع نفسه لأنه لم يستطع أن يحدد مشاعره تجاهها كل ما يعرفه أنه يشعر بشيء نحوها شيء يجعله يريد أن يطمئن عنها كل ساعة لكنه كان يمنع نفسه و لا يريد إزعاجها في كثرة اتصالاته و خاصة عندما تكون في العمل لذا كان يكتفي في هاتف المساء

جاء صباح يوم الجمعة و بدأ يُطرَقُ باب منزل صادق كثيراً عندما استيقظ على رنين الجرس شعر بالخوف من سيأتي لا أحد يزورني في المنزل أيعقل أنها قِباء لكنها كيف ستعرف عنوان منزلي نظر للساعة رآها تشير للسابعة و نصف لا زال الباب يطرق كثيراً و الجرس لا يهدأ

أيعقل أن أحداً ما يريد الانتقام مني ؟

خطى بتردد نحو الباب عندما اقترب سمع صوت عمه يقول كلُّ هذا نوم ؟

عندها فتح الباب و هو في غاية السعادة هذه المفاجأة لم تكن متوقعة على الإطلاق بعد السلام سأل عمه و زوجة عمه ما الذي جعلكما تغيران رأيكما و تعودان لهذه المدينة

- زوجة عمه : أنا التي أصريت على المجيء بعد أن عاد لي صوتي شعرت بأنني سألتقي بأبنتي لذا جئت للمكان الذي فقدتها فيه
- صادق : عشت سنين كثيرة هنا و أنا أبحث في وجوه الفتيات عن ابنة عمي و لكني لم أجدها و لا أملك نقطة بداية قال كلامه و هو يشعر بالخجل و كأنه خذل عمه
- عم صادق : لا عليك يا بني كلُّ شيءٍ بميعاد توكل على الله و لا تيأس من رحمته

بدأت زوجة عمه بترتيب المنزل بينما ذهب صادق للسوق كي يشتري بعض الطعام للفطور فهو لا يهتم إن نفذ شيء في المنزل كل طعامه خارج المنزل

عاد صادق و هو يحمل معه أغراضاً كثيرة أخذتها زوجة عمه و دخلت لتعد الفطور عندما دخل لغرفة المعيشة رأى صورة كبيرة لابنة عمه المفقودة تكاد تملأ الجدار كانت هذه آخر صورة لها شعر بغصة في قلبه لكنه دارى مشاعره أمام عمه و رأى منزله نظيف و مرتب شُرِحَ صدره لهذه النظافة التي عمت المكان

بعد أن انتهوا من تناول فطورهم و بينما كانوا يشربون قهوتهم قالت له زوجة عمه سأرتاح بعض الوقت ثم سأبدأ بتحضير الغداء عندما ذكرت كلمة الغداء تذكر قِباء التي تنتظره على الغداء و كان يحسب الساعات و الدقائق كي يأتي يوم الجمعة و لكنه الآن سيُضطر للاعتذار

حمل هاتفه و اتصل بها

- قِباء : الو
- صادق : صباح الخير ... قِباء لا أدري ما أقول لكني أعتذر عن موعد اليوم
- قِباء : لماذا ؟ ما الذي يمنعك عن المجيئ ؟
- صادق : لقد جاء عمي و زوجته اليوم من مدينة أخرى
- قِباء : حمداً لله على سلامتهم ... إذاً أهلاً و سهلاً بهم فليأتوا معك لقد بدأت بكثير من التحضيرات و لن أقبل الاعتذار مطلقاً
- صادق : نظر لعمه و زوجته بخجل و قال لهم صديقتي تنتظرنا اليوم على الغداء إن لم يكن لديكم مانع ؟

أشارا له أنهما موافقين و ابتسامة تملأ وجههما

- صادق : نعم سنأتي شكراً لكِ
- قِباء : العفو .... أنا بانتظاركم

بدأت زوجة عمه بوابل من الأسئلة و هو في غاية الحرج و لا يعرف بماذا يجيب فهو لا يعرف عنها إلّا اسمها و عملها فقط و لا يعرف شيئاً عن أهلها

ذهب صادق و عمه و زوجة عمه لمنزل قِباء التي كانت في استقبالهم أحسن استقبال رحّبت بهم كثيراً كانت مرحة و تملك وجهاً بشوشاً

عمه لا يعرف لماذا لم يستطع منع عيناه من النظر لها حتى أنه أحرجها و هي تأكل بينما صادق كان محرجاً من الجميع أما زوجة عمه شعرت أن قِباء دخلت لقلبها دون استئذان انتهوا من تناول الغداء و الجميع شكرها كان الطعام لذيذاً جداً لم يكن صادق يتوقع أنه سيأكل طعام بهذه اللذة من يد قِباء فهي ناعمة من يراها لا يتوقع أنها تستطيع أن تجيد شيء

قبل ذهابهم قالت زوجة عمه لها

أنا أيضاً أريد أن تتذوقي الطعام الذي أعدّه.... أنا طاهية جيدة فلتأتي غداً لمنزل صادق كي نتناول الغداء معاً

وافقت قِباء و قال لها صادق عندما تنتهي من عملكِ أتصلي بي و نعود سوياً للمنزل كي لا تتوهي في العنوان

عندما عادوا للمنزل بقيت سيرة قِباء مفتوحة للمساء كانوا جميعاً مبهورين بها و بثقافتها وجمالها الناعم و الهادئ و ترتيبها و نظافتها و شهاداتها و طريقة تعاملها الراقية التي تدل على حُسن تربيتها و طعامها الشهي و تواضعها

فجأة سكت عمه و سالت دمعة على وجنتاه

- صادق : ما بكَ يا عمي ؟
- عم صادق : قِباء في نفس عمر ابنتي المفقودة .... بكى قليلاً ثم قال من صغركما أنتَ و ابنتي كنا نقول أنا و والدك رحمه الله أننا سنزوجكما عندما تكبران و كانت تضحك الأمهات و تقول زوجتي صهري وسيم الشكل

بينما والدتك رحمها الله كانت تقول أنها ستعامل ابنتي كأنها ابنتها و ستكون لها أماً ثانية و يا لسخرية القدر فُقِدت ابنتي و لم تحظى بأم و ها أنت الآن كبرت و ستتزوج

قِباء فتاة جميلة و تناسبك أنت محظوظ يا بني

- صادق : و هو أيضاً خنقته العبرة لا يا عمي قِباء مجرد صديقة وضعها القدر في طريقي لا أكثر ....أنا لا أفكر في الزواج في الوقت الحالي و لن أتزوج إلّا العروس التي اختارها لي والداي ثم انهار بدأ يبكي ويشهق لن اتزوج عمي سوى ابنتك وإن لم نعثر عليها لن أتزوج
- زوجة عمه : ضمته لصدرها و هي تقول سأزوجك ابنتي لا تخف أشعر أنها قريبة جداً
- عم صادق : لا توهمي نفسكِ و توهميه دعي الشاب ينتقي فتاة و يتزوج أنتِ تعلمين أننا أنا و أخي فقط في العائلة لأب وحيد و بعد فقدان ابنتنا لم ننجب اطفالاً

غيرها إثر الصدمة و أنا أحبكِ جداً لم أكن لأتخلى عنكِ و بعد وفاة أخي و زوجته لم يتبقى سوى صادق لذا يجب أن يتزوج و ينجب أطفالاً يحملون أسم العائلة

صحيح لم أرى أحداً من اهل قِباء أين هم ؟

- صادق : لا أعرف معرفتي بها بسيطة منذ اسبوع لا أكثر و كان من المفترض أن تكون معنا على الغداء إحدى صديقاتها لكنها لم تأتي على ما يبدو

في اليوم التالي انهى صادق عمله عند الساعة الثالثة نظر لهاتفه و لم يجد أي اتصال من قِباء اعتقد أنها نسيت الموعد أو تناست لأنها تخجل

هاتفها عندما أجابت حاولت التهرب من الموعد لكنه أصرّ فقالت له ربع ساعة و تكن جاهزة و تنتظره عند باب المركز الثقافي

دخلا سوياً للمنزل و كان عمه و زوجته في انتظارهما دخل الجميع لغرفة الطعام و تناولوا الغداء سوياً و بعد أن انتهوا ذهب صادق و عمه لغرفة المعيشة بينما قِباء بقيت تساعد زوجة عمه في تنظيف الأطباق و إعداد الشاي

دخلت زوجة عمه أمامها للغرفة و هي تحمل ابريق الشاي و كانت قِباء تمشي خلفها تحمل الكؤوس الفارغة و عندما دخلت قِباء عقدت حاجبيها و تغير لون وجهها و وقعت الكؤوس الفارغة و كُسرت بينما هي تقف متسمرة مكانها تنظر لصورة ابنة عمه المفقودة

نهض الجميع خائفين على قِباء ما بكِ يا ابنتي ؟ ....انتبهي كي لا يجرحكِ الزجاج المكسور ....

تقدم عم صادق من قِباء و صفعها على وجهها عم الصمت في المكان لكن نظرات قِباء بعد الصفعة انتقلت من الصورة إلى عم صادق الذي صفعها

لا تخافي يا ابنتي لكني رأيتكِ في حالة صدمة لذا صفعتكِ أنا آسف لم أكن أقصد الأذيّة

لم تتكلم قِباء أمسكها صادق من يدها و أجلسها بينما ذهبت زوجة عمه تنظف الأرض من الزجاج المكسور و عاد الصمت ليخيم من جديد ظاهرياً بينما الضجيج داخل كل شخص منهم يُكاد أن يُسمع

انتهت زوجة عمه من التنظيف و جلست أمام قِباء التي بدأت تستعيد وعيها بعد الصدمة

- زوجة عمه : ما بكِ يا ابنتي ؟ ..... هل شعرتِ بدوار ؟
- قِباء : تنهدت و بالكاد تكلمت و قالت لا
- صادق : إذاً ما الذي حدث ؟
- قِباء : لا شيء
- عم صادق : كان ذلك كله بسبب هذه الصورة صحيح ؟

- قِباء : حاولت التهرب من الإجابة و سألت من تكون صاحبة الصورة التي تملأ الحائط
- زوجة عمه : فهمت الآن أنتِ اعتقدتِ أن هذه الفتاة ابنة صادق لذا شعرتِ بالغيرة و حدث ما حدث
- قِباء : شعرت أن زوجة عمه أنقذتها فعلاً بهذا الكلام تبسمت و قالت إن لم تكن ابنته من تكون ؟
- عم صادق : ابنتي
- قِباء : أين هي لا أراها معكم ؟
- زوجة عمه : لقد فقدناها و هي صغيرة
- قِباء : فقدتموها ؟ كيف ؟
- صادق : قصة طويلة و حزينة لا داعي لها الآن
- قِباء : لما لا.... نحن جالسين فلنستمع لهذه القصة إلّا إذا كنت تقصد أن وقت الزيارة انتهى و يجب أن أعود لمنزلي
- صادق : شعر بالإحراج و قال لها لا أبداً

- قِباء : إن كان لديك عمل تستطيع الذهاب و إن كنت تشعر بالتعب تستطيع الذهاب أيضاُ لغرفتك و الاسترخاء ها أنا ذا أجلس مع عمك و زوجته
- صادق : لا..... أتمنى أن لا تسيئي فهمي

نظر لها عمه و شعر بذكائها الفذ لا يستطيع مع ذكائها تحديد موقفها فهو متأكد أنها تعرف ابنته و متأكد أيضاً أنها لن تعطيه طرف خيط يبدو أنها تزن كلامها جيداً و لن تتكلم إلّا الذي تود قوله فقط و شعر أنها لن تقول شيئاً الآن لذا بدأ يتابع تعابير وجهها و ردود افعالها بعد أن سمح لزوجته بالتحدث

- زوجة عمه : في بداية زواجنا جاء فرز زوجي لهذه المدينة حيث أنه كان يعمل في الجيش
و كما تعرفين في مدينتنا أغلب النساء جميلات بسبب الطبيعة الرائعة و ما يزيدهن جمال أناقتهن و اهتمامهن بأنفسهن لذا عندما جئت مع زوجي للمرة الأولى كنت حديث المدينة بأكملها شعري الأسود الطويل و بشرتي

بيضاء اللون صافية و عينان جميلتان شعرت بالخوف من عيون الناس و الغيرة كانت واضحة في عيون النساء لكني اعتد و لم آبه لشيء و خاصة أن زوجي كان منصبه كبير حينها و الجميع يهابه و يحسب له ألف حساب بعد فترة قصيرة جداً بدأت أشعر بالوحدة و الملل حيث كان زوجي دائم الانشغال عني و عن ابنتي الصغيرة و لم أكن أحب الخروج وحدي بعد شهر تقريباً فُرِز والد صادق لهذه المدينة أيضاً عندها فرحنا كثيراً جميعنا و بالفعل انتقلوا إلى هنا و بدأت استمتع بوقتي مع والدة صادق التي كانت حنونة و كأنها أختي

في أحد الأيام جاء زوجي ليخبرني أننا سنذهب و نتعرف على إحدى عائلات البلد المرموقة تلبية لدعوتهم لنا على العشاء الليلة بالفعل ذهبنا جلس الرجال بغرفة و النساء بغرفةٍ أخرى قالوا لنا هكذا هي العادات في هذه المدينة لم أكن أشعر بالارتياح نظرات الجميع تتجه

نحونا أنا و والدة صادق التي لم تكن أقل جمالاً مني عندما عدنا سبقنا والد صادق و والدته لأنهم ذهبوا من شارع فرعي ليسألوا الصيدلية الموجودة هناك عن دواء لصادق عندها تعرض لنا مجموعة من الملثمين كانوا مسلحين كانت نيتهم قتل زوجي و اختطافي لكنهم لم يتوقعوا أن أخاه كان خلفنا عندما رأى هذا المنظر والد صادق من بعيد جن جنونه و بدأ يصرخ و يطلق النار بدأوا يتراكضون لسيارتهم لكن أحدهم أطلق النار و اصاب زوجي بكتفه ذهبت نحو زوجي و أنا أصرخ إلّا أن الأخير فيهم قبل أن يصعد للسيارة استطاع اختطاف ابنتي من يدي لم أعد أعرف هل أعود لزوجي الغارق في دمه أم أركض خلف السيارة التي أخذت مني ابنتي لكنهم اختفوا بلمح البصر و غالباً أن والد صادق أصاب أحدهم برصاصة اعتقد أنه توفي بسببها لأن أحدهم صرخ بأعلى صوته باسم فايز شعرت أن صوته هز

المدينة حاول والد صادق اللحاق بهم لكنه لم يستطع فأسرع و انقذ أخاه الحمد لله لم يصبه مكروه بعد أن قال لنا الطبيب أن حالته استقرت أخذنا والد صادق أنا و زوجته و صادق لبيته لكن ابنتي اختفت لم أراها منذ ذاك اليوم المشؤوم لم أراها لأكثر من ثلاثون عاماً لا أعرف إن كانت على قيد الحياة أو أنها لا سمح الله أصابها مكروه لا أعرف كيف كبرت دون أم و أب هل يا ترى تزوجت و لديها أطفال أم أنها عازبة هل تعذبت في حياتها أو لا

آآآآآآآآآهٍ يا ابنتي بعدكِ فطر قلبي

و أنا منذ تلك اللحظة رُبط لساني و لم أستطع التكلم حيث أنني كنت مصدومة و بقيت خرساء لأكثر من ثلاثون عاماً منذ أسبوع رأيت مناماً جعلني أتكلم من جديد

و بعد تلك الحادثة كان زوجي و هو مصاب يجوب الشوارع بحثاً عن ابنتنا و أخاه لم يهدأ له بال يريد أن يعرف من كان

فايز الذي مات ليستدل على العصابة و يعيد ابنة أخاه لكن بلا جدوى مرَّ شهر و بعدها جاءت أوراق نقل والدة صادق حيث أنها كانت معلمة و عند ما فُرِزَ زوجها إلى هنا هي أيضاً قدمت طلب نقل و تمت الموافقة ذهبت هي و والد صادق لترى ما ينقصها من أوراق لتكمله تركت صادق عندي كان مريضاً و لم تشأ أن تتعبه في الدوائر الحكومية و ذهبت هي و والده في السيارة

لم يعودا بعدها حيث أن أحدهم حاول اللحاق بهم و بدأ بينهم تبادل أطلاق النار عندها لم يسيطر والد صادق على السيارة و قلبت بهم و توفوا رحمهم الله هذا ما قاله لنا الناس الذين تواجدوا عندما وقع الحادث و العلم عند الله

منذ ذاك اليوم و أنا فاقدة ابنتي و صوتي و والدة صادق و والده بدأت أحاول الوقوف من جديد كي استطيع تربية صادق و احاول الانجاب ثانيةً لم نترك طبيباً من أجل الأنجاب لكن الصدمة كانت أقوى من كل العلاج و لم أنجح أن أكن أمّاً مرّة

ثانية وجود صادق في حياتي عوضني لكن لم ينسيني ابنتي و بعد أن فقدنا أعز ثلاث أشخاص في هذه المدينة رحلنا عنها و لم نعد لها قط

جئنا البارحة بعد غيابٍ طويل و كلي أمل أن أجد ابنتي لا أدري لما عاد الأمل بعد كل هذه المدة

أيعقل أنه أحساس صادق و سأجتمع بابنتي ؟

يا الله يا قادر على كل شيء كن معي يا رب واستجب دعائي أما صادق بعد أن تخرّج من كليّته مباشرةً جاء لهذه المدينة و هو يبحث عن ابنة عمه و لا يعرف كيف سيبحث و من أين يبدأ البحث لكنه كان عازم على التواجد هنا و البحث عنها و مضى على مجيئه عشر أعوام دون جدوى

بقيت قِباء صامتة تتابع الحديث بتركيز دون أن يرفّ جفنها من كثرة تركيزها لكنها لم تبدي أي ردة فعل أو تعبير عندما انتهت زوجة عمه من الحديث و تكلمت قِباء كان سؤالها

أغرب سؤال لم يتوقعه عم صادق توقع الكثير إلا هذا السؤال الذي كان

- قِباء : ما اسم ابنتكِ ؟
- زوجة عمه : اسمها رفيف
- قِباء : كم عمرها الآن ؟
- زوجة عمه : أكثر من ثلاثون عاماً بقليل
- قِباء : اتمنى أن تلتقين بها في أقرب وقت و أعتذر إن كنتُ قد اخترقت خصوصياتكم استأذنكم بالذهاب أتوصلني صادق ؟
- صادق : نعم بكل تأكيد
- عم صادق : ألن تكلمينا عن أهلكِ قليلاً و لما أنتِ تعيشين لوحدكِ
- قِباء : أعدكم بزيارة أخرى عما قريب و سأحدثكم عن كل شيء لكن اليوم تأخرت و يجب أن أذهب

تصبحون على خير سلمت يداكِ خالة نفسك في الطهي رائع هيا صادق لنذهب

أوصلها صادق و هي طوال الطريق لم تنطق ببنت شفه

عندما وصلوا ودّعته و هي شاردة الذهن و كأنها في عالمٍ آخر عالم لا يعرفه أحداً سواها

و ما إن أصبحت لوحدها في منزلها حتى انفجرت بالبكاء

يا إلهي كم كانت معاناة والداي و كم قضى صادق وقتاً في البحث عني لم يكل أو يمل

ما أقسى الحياة التي تحرم أم من ابنتها

لو كانت هذه المصائب المتلاحقة على جبلٍ لم يكن ليحملها كم كان صبرك يا أمي كبيراً

أشعر بكَ يا أبي و أنت الذي فقدت ابنتك و أخاك

لكن كيف سأخبركم بالحقيقة كيف سأخبركم أنني ابنتكم و كيف سأضمن أن لن تشعل الحرب من جديد لا أريد أن أخسر صادق أو والداي أريد حلاً سلميّاً

أأراهم أمام عيناي و لا اضمهم و أحظى بحنان والداي ؟

ألا يحق لهم أن يفرحوا بعودة ابنتهم بعد كل هذا الصبر و القهر و المرار الذي تجرعوه في بعدي عنهم

أيعقل أن أفضّل أحداً على والدي ؟

يجب أن أذهب و أخبرهم الحقيقة

لكنهم تكلموا عن زواجي من صادق كيف أتفادى هذا الموضوع لا أريد

لما لا أريد ؟

لقد كان لي كل شيء عندما قُفِلت الأبواب في وجهي فتح بابه دون أن يعلم أنني ابنة عمه كان حنون و طيب القلب

أخلاقه عالية لم يستغل وجودي لوحدي على العكس كان عوناً لي و هو وسيم و مثقف ماذا أريد أكثر من ذلك ؟

نظرت قِباء حولها و تبسمت و قالت إن هذا البيت وجهه خير سأذهب غداً لوالدي و ليحدث ما يحدث لن أقبل أن يطول عذابهما أكثر من ذلك حسمت أمري

رن هاتفها و كان المتصل مُخرج المسرحية ليُعلمها أن غداً عطلة حيث أنه مشغول

قالت قِباء في نفسها إن الظروف تساعدني أيضاً سأذهب بعد أن يخرج صادق من المنزل لأنفرد بوالدي

ثم أخذت قلم و بدأت تكتب في دفترها

شيعنا حزننا بعد صراع مع الصبر و القهر و الحرمان

دام لأعوامٍ كثيرة

بدايتها نهاية الطفولة و تفتح مدارك العقل و الوعي

شيعنا حزننا الذي استوطن أعماقنا

و دمر كل خلية أمل في أجسادنا

شيعنا حزننا الذي صارعه الصبر كثيراً

و ميادين القتال كانت أرواحنا

و هتافات التشجيع تنهدات

و شهقات البكاء التي كانت تعلو كلما احتد الصراع

و لم تكن النتيجة مهمة و من الذي سيغلب

فكلاهما سواء في المرار

احدهما شيح و الآخر علقم

و سنتجرع الكأس مجبورين

أما الدموع فقد نضبت

لكننا اليوم نشيع الحزن

و نفتح الستائر أمام الأمل

ليتسرب مع خيوط شمس الصباح

شيعنا حزننا لكننا هذه المرة بكينا

و ذرفنا الدموع التي خلناها نضبت

عندها اكتشفنا أن التي نضبت كانت دموع القهر

و التي سالت دموع الفرح

الذي ولد من رحم الصبر

بعد أن تعسر المخاض

فكانت ولادة الفرح اشبه بمعجزة

آهٍ كم تعبنا

لكننا الآن نرتمي في حضن السعادة

لتزيل عنا بعضاً من هذا التعب

و تمسح على الروح لتنسيها قليلاً من معاناتها

لن تستطيع السعادة التي وصلت متأخرة

أن تداوي الندوب في الروح

حتى و إن قطّبت الجراح

ستبقى الندوب بمثابة تذكار وسمه الحزن داخلنا

شيعنا حزننا و دفناه في مقبرة الذاكرة

و كانت الشاهدة هي عمر الحزن

أي عدد الأعوام التي قضاها يحاول القضاء علينا

ثم أغلقنا المقبرة بسلاسل التفاؤل

جاء الصباح و استقبلته قِباء بابتسامة و نشاط كعادتها مع صوت فيروز و رائحة القهوة ثم سرّحت شعرها و ارتدت أجمل ثيابها و اتصلت ب صادق لترى إن ذهب لعمله فقال لها

إنه في طريقه للمكتب استغرب اتصالها الصباحي لكنه لم يُعر الموضوع اهتماماً

ذهبت قِباء لمنزله و تفاجأت أمها من زيارتها بينما والدها لم يتفاجأ كان يعرف أنها ستأتي لكنه لم يعتقد أنها هي ابنته أعتقد أنها تعرف شيء عن ابنته

ذهبت والدتها لتعد القهوة لكن قِباء أوقفتها و قالت لها اجلسي جئت لنتحدث في موضوع مهم أريد أن أسألكم عن ابنتكم كيف ستعرفانها إن رأيتموها ألا يوجد شيء يميزها ؟

قالت والدتها يجب أن تكون علامة في ساقها اليسار لا أعتقد أنها اختفت كانت هذه العلامة إثر حادث تعرضت له ابنتي في صغرها رفعت قِباء لتريهم ساقها و ذُهِل والديها نعم هي.....

يا إلهي .....أنتِ ابنتنا

نعم أنا

تلك الصورة كانت لي و هذا سبب صدمتي منذ خمسة عشر يوماً تقريباً عرفت عن طريق الصدفة أنني لست ابنتهم الحقيقية لوالدي لكني لم أكن أشعر للحظة أنني لست ابنتهم كنت أحظى بحب كبير منهما و عطف و حنان أحسد عليهم لكني دخلت ذات يوم للمنزل و سمعت اصواتاً كثيرة فلم أصدر صوت لأنني لا أعرف من هم ضيوفنا و لما هذه الأصوات المرتفعة و قبل أن أدخل للغرفة سمعت

- عمي يقول لأبي : هي ليست ابنتك لِما تحرم أولادك الذين هم من صلبك من الميراث
- أبي : كيف تريدون مني أن أرميها في الشارع و هي فتاة لا سند لها
- ابن عمي : يا عمي لن تحصل على الميراث طالما تبقيها في منزلك إنها غريبة لِما ترث ؟
- أخي : لكن إلى أين ستذهب ؟

- ابن عمي : هذا ليس من شأننا كلامنا واضح يجب أن تخرج هذه الفتاة من العائلة

كانت صدمتي كبيرة لأنني أعلم أن هذا الكلام عني فأنا أتذكر يوم ولادة أختي كنت واعية حينها حتماً الكلام ليس عنها و لا يوجد في المنزل بناتاً لأبي سوانا أنا و أختي و صدمتي أكبر حين وافق أخي على كلامهم

لا ألومه فهو بحاجة لتلك الأموال

و لا استطيع أن ألوم والداي لأنهم قدموا لي الكثير

خرجت حينها مثلما دخلت دون أن يشعر أحداً بي و قابلت صادق عن طريق الصدفة اعتقد أنه أخبركم كيف التقينا

نعم أخبرنا

عندها ساعدني و لحسن الحظ وقّعتُ عقداً و استلمت مبلغاً من المال كنت قد وعدت والدي به ليعطيه للمحامي

لكني فكرت إن ذهبت للمنزل و أخذت أمتعتي سيأخذون مني الذهب الذي اشتريته من مالي الخاص لذا خبأته في المنزل الذي أعطاني إياه صادق و ذهبت للمنزل و بالفعل سألوني عنه قلت لهم أنه سُرق مني و كنت خائفة فقال لي ابن عمي بكل قسوة أنني يجب أن اترك المنزل و أنني لست من عائلتهم لذا أعطيت والدي المال و قلت له أنني استدنته من إحدى صديقاتي و سأذهب لأقيم عندها لذا سآخذ امتعتي و بالفعل استطعت أخذ أمتعتي و ها أنا ذا أسكن في منزلي الذي حمدت الله عليه كثيراً

- والدها : من هو فايز ؟
- قِباء : لا يوجد أحداً في العائلة بهذا الاسم فكرت فيه البارحة حين ذكرتموه لكنني وصلت لنتيجة والداي في بداية زواجهما لم ينجبا أطفالاً لمدة ثلاث سنوات و كما تعلمان عادات و تقاليد المنطقة أن الذي يتزوج يجب أن ينجب أطفالاً مباشرة بعد الزواج و

اعتبروا والدتي عاقر لكنها في الحقيقة تزوجت صغيرة حينها و لم يكتمل نمو الرحم عندها هكذا أخبرهم الطبيب و كثر الحديث عنها و عن والدي الذي يرفض الزواج من أخرى لأنه يحبها فهي بالفعل جميلة جداً حينها أخذها ليبتعد عن القيل و القال و ذهب لمدينة أخرى ليعمل هناك و بعدها على قولهما وُلِدتُ أنا و عادا لمدينتهما بين أهلهم أعتقد أنهم وجدوني في أحد الشوارع أو أحداً باعني لهما الله و أعلم و بعد وجودي ب سنة ونصف ولدت أمي ابنها الأول و الثاني و كانت أختي الثالثة لذا لم يشك أحد أنني لست ابنتهم لكن على ما يبدو أن والدي أخبر أخاه و أنا متأكدة أن أخاه و أولاده كانوا يريدون حصة والدي من الميراث بأي شكل لذا لجأوا لهذه الحيلة و هم متأكدون أن والدي سيرفض المال من أجلي لذا كانوا حريصين على تواجد أخي للضغط على والدي و

هذا ما حدث بالفعل لكنهم الآن خسروا حصة أبي من الميراث لأنه سيأخذها بعد أن تركت المنزل

حزّ في نفسي كثيراً أن أحداً لم يسأل عني أو يتصل بي ليطمئنوا عني

قالتها و الدموع تملأ عيناها لكني لا ألوم أحداً على العكس أشكرهم على جهودهم التي بذلوها في تربيتي الحمد لله على كل شيء

- والدها : يجب أن نذهب و نشكرهم
- قِباء :صرخت لا ...أقصد لا اريد أن يعرف أحداً بشيء لقد شكرتهم أنا بعد تخرجي كنت أعمل و كان دخلي الشهري ممتاز و كنت أعيل والداي هذا يكفي

في الحقيقة كانت قِباء تعرف أن فايز يكون عمها الذي توفى لا تعرف كيف لكنهم كانوا يقولون أنه تعرض لحادث سيارة ولا تريد إخبار والداها كي لا تندلع حرباً يكفي خسارة تريد أن تعيش بسلام

كانت الفرحة كبيرة و كانا لا يملان من احتضانها و الدموع تملأ عيون الجميع لكنها في هذه المرة كانت دموع فرح بقيت هناك إلى أن جاء صادق الذي كانت حصته كبيرة أيضاً من الصدمة و الفرح و الدموع لكنه خرج من المنزل مباشرة بعد أن عرف كل شيء استغرب الجميع تصرفه

- عمه : الصدمة كبيرة عليه.... يا الهي كيف سيقود سيارته و هو في هذه الحالة ؟
- زوجة عمه : أيعقل أنه شعر بالغيرة حين رأى اهتمامنا ب رفيف ؟
- قِباء : لا يعقل فهو واعي ليس صغير ليفكر هكذا لنتركه قليلاً و بعدها نستفقده ليكون استوعب الأمر

ظلّوا على حالهم هذا ساعاتٍ طويلة و الوساوس لا تفارقهم و خاصة أنه لا يجيب على اتصالاتهم جن جنون عمه و زوجته لكنه فاجأهم بالدخول للمنزل عند الساعة الثامنة و هو يرتدي

بدلة أنيقة و يبدو أنه ذهب للحلّاق و يحمل بيده حلويات و باقة زهور جميلة جلس و الجميع ينظرون له بذهول بعد دقائق تكلم و قال جئت اليوم عمي لأطلب يد ابنتك رفيف على سنة الله و رسوله نظر عمه تجاه ابنته فتبسمت و قال له نتشرف بك زوج لابنتنا عندها بدأت والدتها تبكي و قد ملأت البيت هلهولة إثر أخرى وقف صادق و أخرج من جيبه شيء لم يروه و ذهب تجاه الحاسوب و بدأت أغاني تخص الخطوبة يبدو أنه استغرق وقت في البحث عنها و ترتيبها و أخذ بيد قِباء لمنتصف الغرفة و بدأ يرقص معها

عمت الفرحة قلوب الجميع و اجسادهم هاموا بها و كأنهم سكارى لا يتذكرون شيء فقط يعيشون اللحظة بسعادة و حب و كأنهم ولدوا لتوهم و لم يصعدوا قط لقطار الهم

الكاتبة أماني سليمان

سوريا محافظة الحسكة مدينة القامشلي

من مواليد ١٩٨٨/٨/٢

درست في كلية العلوم قسم كيمياء

أول مؤلفاتها كتاب خواطر بعنوان همسات النسمات

الثاني كتاب خواطر بعنوان صدى الأفكار

الثالث رواية بعنوان يُضمّدها الأمل

الرابع كتاب خواطر بعنوان عندما تتحدث الروح

الخامس رواية بعنوان أرواح تتأرجح على كفوف السحر

مسرحية بعنوان النبوءة

السادس كتاب خواطر بعنوان يا حزني السعيد

السابع رواية بعنوان قبل أن يراها

الثامن قصة بعنوان و كانت الصدمة

التاسع رواية بعنوان ترتيب القدر